محاضرات مادة عرب قبل الاسلام

تدريسي المادة

أ.د سامي احمد زهو

م.م إبراهيم خضير عباس

للعام الدراسي ٢٠٢٣/٢٠٢٤

المحاضرة الأولى: جغرافية شبه الجزيرة العربية

تقع بلاد العرب في القسم الجنوبي الغربي من قارة اسيا ، ويبلغ طولها من رأس الخليج العربي الى العقبة حوالي الف ميل ، ومن البحر العربي الى اطراف الهلال الخصيب حوالي الف ومائتي ميل ، وهي هضبة مرتفعة في الغرب تنحدر تدريجيا نحو الشرق – حتى تصبح كالسهل عند سواحل الخليج العربي. وقد عرفت بلاد العرب عند مؤرخي اليونان والرومان باسم أرابيا Arabia بينما يطلق عليها مؤرخو العرب وجغرافييهم أسم " جزيرة العرب " ، وهي تسمية مجازية لان بلاد العرب ليست جزيرة وانما شبه جزيرة، ولكن العرب كانوا يسمون شبه الجزيرة جزيرة ، فهم يسمون شبه جزيرة ايبيريا جزيرة الاندلس ، واطلقوا على ما بين النهرين في العراق اسم جزيرة اقور. اما عن حدود شبه الجزيرة العربية فيحدها من الشرق الخليج العربي وبحر عمان ومن الغرب البحر الاحمر ، ومن الشمال بادية الشام ، ومن الجنوب المحيط الهندي ، وتختلف بلاد العرب من حيث طبيعتها باختلاف اجزائها ، فبعضها تغطيه كثبان الرمل ، والبعض تكسوه الصخور ، والبعض منخفض ، والبعض مرتفع ، وتمتد على طول ساحل البحر الاحمر سلسلة جبال السراة " ويزداد ارتفاعها في الشمال حيث يبلغ معدل ارتفاعها ٢٠٠٠ م ثم تنخفض في الوسط حتى تصبح كالتلال المتقطعة ، ثم تعود الى الارتفاع في الجنوب حيث يصبح ارتفاعها حوالي ١٢ قدم ، ويمتد من وسط الجزيرة سلسلتا جبال أجا وسلمى او جبلي شمر ، ويبلغ ارتفاعها حوالي ٥٥٠٠ قدم . وفيها صحراوان كبيرتان : صحراء الاحقاف في الجنوب ، وصحراء النفوذ في الشمال وبين الصحراوين والسلسلتين (أجا وسلمى) ، تنتشر انجاد متسعة تكثر فيها الواحات ، وتنمو فيها اشجار النخيل ، اما البوادي فأراضي جافة تنشأ عادة من اطراف البطاح الخصبة ، وتتلاشى في طلائع الرمال الصحراوية ، وتتحول في موسم الامطار الى مراع كثيرة الخصب ، وتنتشر الواحات والحرات في البوادي على غير انتظام ، وتكثر في الواحات منابع المياه فتنبت فيها المزروعات ، ويتكاثر فيها السكان ، اما الحرات فهي مناطق جافة وعرة تكثر فيها الحجارة السوداء ويقل فيها العمران وقد قسم اليونان والرومان بلاد العرب الى ثلاثة اقسام طبيعية تتفق مع حالة العرب السياسية في القرن الاول الميلادي هي:

١. بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea او Arabia Petrix وتقع في الشمال من بلاد العرب ، جنوب غربي بادية الشام وتضم شبه جزيرة سيناء .
٢. بلاد العرب السعيدة : Arabia felix ، وهي اليمن والحجاز وعمان .
٣. بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta ، وهي البادية الكبرى التي تمتد من حدود سورية والعراق الى المحيط الهندي محاذية الخليج العربي وتشكل بلاد العرب الصحراوية

القسم الاعظم من هذه الاقسام الثلاثة . اما جغرافيو العرب فقد قسموا بلادهم الى خمسة اقسام كبرى وهي:

١) تهامة او الغور : وهي الاراضي الممتدة في محاذاة الساحل الشرقي للبحر الاحمر من اليمن جنوبا حتى العقبة شمالا ، ويحجزها عن داخل شبة الجزيرة سلسلة جبال السراه وقد سميت تهامة لشدة حرها ، وركود ريحها ، وسميت غورا لانخفاض أرضها .

٢) الحجاز : ويقع شرقي تهامة وشمالي بلاد اليمن ، ويمتد الحجاز شمالا حتى فلسطين ، وقد سمي كذلك لأنه يحجز بين نجد وتهامة ، ويضم من المدن : يثرب والطائف وخبير وفدك وتيماء .

٣) نجد : وهي الهضبة الوسطى في شبه الجزيرة العربية ، وتقع بين اليمن جنوبا وبادية السماوة شمالا ، واطراف العراق شرقا ، وسميت نجدا لارتفاعها .

٤) اليمن : ويمتد من نجد شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، وشرقا الى حضر موت وعمان ، وفيه التهائم والنجد ، وسميت بهذا الاسم لأنها بلاد يمن وخير وبركة .

٥) العروض : وتشمل بلاد اليمامة والبحرين ، وسميت عروضا لاعتراض جبالها بين اليمن ونجد والعراق وكانت اليمامة تسمى قديما " جوا " فلما نزلتها طسم . أما مناخ شبه الجزيرة العربية فصحراوي ، حار جدا في الصيف ، وبارد جدا في الشتاء ، ومن حيث الامطار فقليلة تسقط صيفا بفعل الرياح الموسمية الاتية من شرقي افريقيا ، وتتوفر المياه الباطنية في معظم انحاء الجزيرة ، وغالبا ما تكون قريبة من سطح الارض . حيث تكون كمياتها كافية للزراعة والاستيطان ، وكذلك تتوفر المياه في بطون الاودية وفي بلاد اليمن مما ساعد على الزراعة والاستقرار ونشوء الحضارات. اما من ناحية الحاصلات الزراعية والنباتات ، فيأتي النخيل في مقدمتها ، ويكثر وجودة في الواحات ، وخصوصا في خيبر والمدينة وفي هجر من بلاد البحرين وفي اليمامة ويزرع من الحبوب القمح والشعير والذرة والدخن وتشتهر فدك ووادي القرى وخيبر والمدينة والبحرين بإنتاج الشعير اما القمح فيكثر في اليمامة ، والذرة في عسير وتشتهر الطائف بإنتاج الكروم وانواع الفاكهة ، ويزرع البرتقال والسفرجل في المناطق المرتفعة ، والموز في بعض الوديان الصالحة نحو الجنوب

المحاضرة الثانية :تاريخ العرب القديمة

يبدأ تاريخ العرب في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وهو أول شهادة معروفة للغة العربية القديمة. يبدو أن العرب كانوا تحت سيطرة الإمبراطورية الآشورية الحديثة وتواجدوا في المناطق من جنوب تركيا إلى شبه الجزيرة العربية .القبائل العربية وأبرزها الغساسنة والمناذرة بدأت في الظهور في جنوب الصحراء السورية

دراسة شبه الجزيرة العربية ما قبل الإسلام العربية مهمة لأنها وفق الدراسات الإسلامية توفر السياق لتطور الإسلام. تطورت بعض المجتمعات المستقرة في شبه الجزيرة العربية إلى حضارات مميزة. مصادر هذه الحضارات ليست واسعة النطاق وتقتصر على الأدلة الأثرية والكتب التاريخية خارج شبه الجزيرة العربية والتقاليد الشفوية العربية التي سجلها لاحقا علماء الإسلام. كان من بين أبرز الحضارات دلمون الذي نشأت حوالي الألفية الرابعة قبل الميلاد واستمرت حتى عام ٥٣٨ قبل الميلاد وحضارة ثمود التي نشأت حوالي الألفية الأولى قبل الميلاد واستمرت حوالي ٣٠٠ م. بالإضافة إلى ذلك فمنذ بداية الألفية الأولى قبل الميلاد كانت جنوب الجزيرة العربية موطنا لعدد من الممالك مثل مملكة سبأ وكانت المناطق الساحلية في شرق الجزيرة العربية (إقليم البحرين) تحت سيطرة الإمبراطورية الفرثية والساسانيون من ٣٠٠ قبل الميلاد.

تعطي النصوص العربية الأولى أو العربية الشمالية القديمة صورة أوضح لظهور العرب. وكانت مكتوبة في وقت قريب وبعيدة عن المتغيرات عن كتابات اللغة العربية الجنوبية المكتوبة بخط المسند بما في ذلك القرن الثامن قبل الميلاد وقد عثر علي كتابات ونقوش في منطقة الأحساء شرق المملكة وأخرى تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد في مملكة دادان جنوب شرق المملكة العربية السعودية والنصوص الثمودية وجدت في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية وسيناء وليس في الواقع مرتبطة مع حضارة ثمود.

الأنباط كانوا من البدو الذين انتقلوا إلى الأراضي التي أخلتها مملكة إدوم وهم من الشعوب السامية الذين استوطنوا المنطقة قرونًا من قبلهم. وكانت نقوشهم المبكرة

باللغة الآرامية لكنهم تحولوا تدريجياً إلى اللغة العربية وبما أنهم كتبوا فإنهم هم الذين صنعوا النقوش الأولى باللغة العربية. تم تبني الأبجدية النبطية من قبل العرب في الجنوب وتطورت إلى نص عربي حديث في حوالي القرن الرابع. يشهد على ذلك النقوش الصفائية) بداية من القرن الأول قبل الميلاد) والعديد من الأسماء الشخصية العربية في النقوش النبطية .منذ حوالي القرن الثاني قبل الميلاد تكشف بعض النقوش من قرية الفاو عن لهجة لم تعد تُعتبر *اللغة العربية الفصحى* ولكن *قبل العربية الكلاسيكية* . تم العثور على خمس نقوش سريانية تذكر العرب في أثار سوماتار هارابيسي وأحدها يعود إلى القرن الثاني الميلادي.
مدينة تدمر القديمة.

وصل العرب إلى تدمر في أواخر الألفية الأولى قبل الميلاد .وصف جنود الشيخ زابديبل الذين ساعدوا السلوقيين في معركة رافيا (٢١٧ ق.م.) بالعرب. لم يُعرّف زابديبل ورجاله بالفعل في النصوص، لكن اسم «زابديبل» هو الاسم الذي تم استنتاجه لأن الشيخ تمكن في النهاية من السيطرة على تدمر .تم فتح تدمر من قبل الخلافة الراشدة بعد الاستيلاء عليها عام ٦٣٤ من قبل القائد العربي خالد بن الوليد الذي فتح المدينة في طريقه إلى دمشق في مسيرة استمرت ١٨ يومًا من قبل جيشه عبر الصحراء السورية من بلاد ما بين النهرين .بحلول ذلك الوقت كانت تدمر تقتصر على معسكر دقلديانوس . بعد الفتح أصبحت المدينة جزءًا من محافظة حمص جزء من لوحة جدارية تُظهر ملكًا كنديًا ، القرن الأول الميلادي.

ازدهرت تدمر كجزء من الخلافة الأموية وتزايد عدد سكانها وكانت محطة رئيسية على الطريق التجاري بين الشرق والغرب مع *سوق* كبير بناه الأمويين خلال هذه الفترة، كانت تدمر معقل قبيلة بنو كلب بعد هزيمة سليمان بن هشام من قبل مروان الثاني خلال حرب أهلية في الخلافة هرب الأمير الأموي سليمان بن هشام إلى بنو كلب في تدمر لكنه تعهد في النهاية بالولاء لمروان في عام ٧٤٤ واصلت تدمر معارضة مروان حتى استسلام زعيم بنو كلب الأبرش الكلبي في عام ٧٤٥ ذلك العام أمر مروان بهدم أسوار المدينة في عام ٧٥٠ اندلعت ثورة بقيادة مجزة بن الكوثر وأبو

محمد السفياني ضد الخلافة العباسية الجديدة عبر سوريا والقبائل في تدمر دعمت المتمردين بعد هزيمته لجأ أبو محمد إلى المدينة التي صمدت أمام الهجوم العباسي لفترة كافية للسماح له بالفرار .

قامت الممالك الثلاث الغساسنة والمناذرة وكندة بالهجرة الكبرى الأخيرة من العرب قبل الإسلام من اليمن إلى الشمال. زاد الغساسانيون من الوجود السامي في سوريا الهيلينية واستقروا بشكل أساسي في منطقة حوران وانتشروا في لبنان وفلسطين وشرق الأردن.
المقاطعة العربية في الامبراطورية الرومانية الفترة ١١٧–١٣٨ م.

أشار الإغريق والرومان إلى جميع السكان الرحل في الصحراء في الشرق الأدنى بالعرب. ودعا الرومان اليمن بلاد العرب السعيدة أطلق الرومان على دول البدو الرحل داخل الإمبراطورية الرومانية) العربية البترائية (والمنطقة من بعد مدينة البتراء والصحارى التي تحد الإمبراطورية الرومانية إلى الجنوب والشرق بشبه الجزيرة العربية.

حكمت مملكة المناذرة وهي سلالة عربية من قبيلة لخم من تنوخ المنطقة من منتصف نهر دجلة حول عاصمتهم الحيرة .وانتهى بهم الأمر بالتحالف مع الساسانيين ضد الغساسنة والإمبراطورية البيزنطية .حارب المناذرة القبائل العربية المتحالفة مع مملكة كندة حيث دمر المناذرة مملكة كندة في نهاية المطاف عام ٥٤٠ بعد سقوط حليفهم الرئيسي مملكة حمير .قام الساسانيون الفارسيون بحل سلالة المناذرة في عام ٦٠٢ حيث كانوا تحت سيطرتهم المباشرة هاجر الكنديون من اليمن إلى جانب الغساسنة والمناذرة، لكن قبيلة ربيعة رجعتهم إلى البحرين. عادوا إلى اليمن وتحالفوا مع الحميريين الذين قاموا بتثبيتها كمملكة تابعة وحكمت شبه الجزيرة العربية الوسطى من «قرية الفاو». وحكموا الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية الشمالية والوسطى حتى تم تدميرهم من قبل ملك المناذرة المنذر بن امرئ القيس وابنه عمرو بن المنذر.

المحاضرة الثالثة : الدول التي ظهرت في اليمن

تقع بلاد اليمن في القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب ، وقد امتازت بوفرة امطارها التي تسقط صيفا بفعل الرياح الموسمية الاتية من شرقي افريقية وكان ذلك عاملا لنشوء النهيرات الصغيرة والسيول التي يستفاد منها في الزراعة التي ادى ازدهارها في هذه البلاد الى الاستقرار وظهور بيئات حضرية في شكل ممالك مزدهرة . وقد اختلفت الاخباريون في اصل تسمية اليمن بهذا الاسم ، فذكر المسعودي ان اليمن انما سمي يمنا لأنه عن يمين الكعبة وهو التيمن ، وسمي الشام شاما لأنه عن شمال الكعبة ، وسمي الحجاز حجازا لأنه حجز بين اليمن والشام . وقيل ايضا ان اليمن سمي يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه في حين يرى البعض الاخر ان اصل التسمية جاءت حين تفرقت لغات الناس ، ببابل فتيمن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن .

اما في النصوص السبأية القديمة فقد ورد اسم اليمن في عدة صيغ منها :-

يمنات ويمنت ، أما عند مؤرخي اليونان والرومان فقد عرفت ببلاد العرب السعيدة Arabia Felix لكثرة خيراتها ، وقد ذكر الالوسي بلاد اليمن فقال (هذا اقليم عظيم متسع الارجاء متباعد الاطراف والانحاء ، ولم تزل محمودة على السنة الاصفياء لما اودع الله فيها من البركة في جميع الاشياء ، وكانت تسمى الخضراء لكثرة مزارعها او نخيلها واشجارها واثمارها ومراعيها وريعها) . وقد اشتهرت اليمن بتجارة العطور والبخور والطيوب والمر والكافور وغيرها وكانت لهذه المنتجات اهمية كبرى في العالم القديم ، فلقيت سوقا رائجة في مصر الفرعونية فقد كان المصريون يستخدمون الطيب والبخور لتحنيط جثث الموتى ، وبالإضافة الى قيام اهل اليمن بتصريف منتجاتهم الوطنية ، فقد كانوا يعملون وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد العراق ومصر والشام ، فعن طريق اليمن كانت لآلئ الخليج العربي والتوابل والسيوف الهندية والحرير الصيني والعاج والذهب الاثيوبي ، تصل الى مصر والشام والعراق . والى جانب ما اشتهرت به اليمن من انتاج انواع الطيوب والمر والكافور ، اشتهرت كذلك بوجود الذهب وبتوافر هذا المعدن في عشم وضنكان ومأرب ومن معادنها ايضا الفضة والرصاص والحديد ويتوافر هذا الاخير في عدن والاراضي الممتدة بين صعدة والحجاز وفي احد جبال نجران ، اما الفضة فتوجد في الرضراض ويوجد معدن الرصاص في المنطقة المحصورة ما بين فهم وخولان .

المحاضرة الرابعة: الحياة السياسية في اليمن :

يبدو ان القبيلة كانت هي الوحدة الاجتماعية والسياسية التي اضطلعت بواجب تنظيم المجتمع في اليمن في مراحله المبكرة شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات التي اقامتها الاقوام العربية القديمة ، غير ان حياة الاستقرار التي نشأت عن الزراعة وما تعلق بها من حرف وخدمات ونشاطات تجارية قد ادت الى نشأة القرى والمدن والدول مما يعني ان السكان في المنطقة الواحدة لم يعودوا مقتصرين على ابناء قبيلة واحدة ، وإنما اخذوا يتألفون من ابناء عدة قبائل يجمعهم نوع من التحالف الذي تفرضه المصالح المشتركة ، وقد ادى هذا التطور الى ظهور مصطلح (شعب) وهو مصطلح يدل على ظهور ((جماعة)) تتجاوز في تكوينها حدود القبيلة لتتألف من مجموعة قبائل بينها علاقات الجوار والمصالح المشتركة ، ويتزعمها شيوخ القبائل الذين يتكون منهم ذلك الشعب ((يرى هارتمان ان لفظ شعب كان في البداية تنظيما دينيا ، اي جماعة إرتبط نشاطها بعبادة إله ما وبمعبد هذا الاله)) ، وهكذا فقد اصبح المعبد هو المركز الموجه للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للشعب ، وكان القائم على شؤون المعبد هو الناطق بأسم اله الشعب ، وهو الموجه لمجمل الحياة العامة ، وبذلك اجتمعت في يده السلطتين الدينية والسياسية ، ومن ثم كان اول لقب حمله الحكام في دولة سبأ هو (مكرب) اي المقرب من الأله ، بمعنى الحاكم الديني او امير الكنهوت .

ان قيام المعبد بقيادة الحياة الدينية والسياسية في اليمن قد جعل من حقه ان تكون له املاكه الخاصة ومصالحه المتميزة ، فضلا عن حقه في فرض الضرائب وبعض الواجبات على ابناء الشعب ، وهكذا نشأت في اليمن سلطة اقطاعية تهيمن على الارض واستغلالها بأسم الله والمعبد والملك ، فكان للمعبد املاكه واقطاعياته والتي تعني في الواقع اقطاعيات الملك واعوانه من سادات القبائل واشراف المجتمع ، كما اصبح للملك وللاشراف املاكهم واقطاعياتهم الخاصة بهم في مرحلة لاحقة من تطور المجتمع في اليمن ، ان التطورات الآنفة الذكر قد اوجدت المناخ الملائم لظهور الدول في اليمن وتوسعها ، وقد امتاز اليمن بكثرة الحصون والمسالح والقصور وكانت القصور تعرف بالمحافد ، ومن تلك المحافد – غمدان وناعط ، وصرواح وسلحين وظفار ، وهكر وضهر ، وشبام ، وبينون ، و ريام ، وبراقش ، ومعين وهند ، وهنيدة ، وعمران ، ويعرف صاحب المحفد والقصر بذي ، وجمعها اذواء ، فيقال ذو غمدان ، وذو صرواح ، وذو معين ، واذا انضم عدد من هذه المحافد في مقاطعة كبيرة سمي مخلاف ويتولى الحكم فيه امير يعرف بقيل ، جمعها اقيال واشهر مخاليف اليمن مخلاف صنعاء ، ومخلاف شاكر ، ومخلاف ضنكان ، ومخلاف همدان ، ومخلاف خولان ، وذكر اليعقوبي ان اليمن كان يشتمل على (٨٤) مخلافا .

ومن اشهر قصور اليمن قصر غمدان ، وسحلين ، وبينون ، وقد ذكرها احد الشعراء في البيت التالي :-

هل بعد غمدان او سلحين من أثر وبعد بينون يبني الناس بنيانا

اما عن مدن اليمن القديمة فأشهرها " مأرب " التي عرفت قديما باسم سبأ نسبة الى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان اول ملوك الدولة السبأية في اليمن ويرى ياقوت الحموي ان اسم سبأ لم يكن يشمل سوى منطقة نفوذ السبئيين وان اسم مأرب كان يطلق على احد قصورهم . وتقع مأرب الى الجنوب الشرقي من صنعاء ، بينها وبين صنعاء ٦٠ ميلا وقد اشتهرت هذه المدينة كمركز تجاري هام لطريق القوافل بين حضر موت جنوبا والحجاز شمالا وازدهرت ازدهارا لا مثيل له في ظل السبائيين فشيدوا فيها السدود والمعابد والقصور والحصون التي ما زالت أثارها باقية حتى اليوم ومن مدن اليمن القديمة ايضا ، صنعاء " ذمار" التي ذكر ياقوت انها كانت على مقربة من صنعاء وفي رأي اخر ان ذمار اسم لصنعاء . ثم أتخذ الاحباش صنعاء حاضرة لهم بعد غزوهم اليمن ، وأنشأ فيها ابرهة الكنسية المشهورة باسم القليس ، ومنها مدينة نجران ، التي كانت مركزا للنصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ ان تمكن الراهب فيميون من نشر الدين المسيحي بها في سنة ٥٠٠ م وأسس كنيسة على المذهب المونوفيزيتي كذلك لعبت مدينة صرواح دور هاما في تاريخ اليمن القديم ، وكان موقعها بين صنعاء ومأرب ، وكان السبأيون قد اتخذوا هذه المدينة في بادئ الامر عاصمة لهم ، فأقاموا فيها المعابد ، وتعتبر صرواح من أهم أثار اليمن القديمة ومن مدن اليمن ايضا معين ، عاصمة المعينيين التي كانت باسم" قرناو " ثم مدينة " ظفار " عاصمة الدولة الحميرية وكان موقعها على الطريق الموصل من صنعاء الى ذمار وتريم من الجنوب .

المحاضرة الخامسة :الدولة المعينية

تعتبر الدولة المعينية من اقدم الدويلات التي قامت ببلاد اليمن قبل الاسلام ، وقد اورد اسم المعينيين في المصادر اليونانية والرومانية ، فسماهم استرابون وديودور الصقلي وبلنيوي ب (Minaei) ، وذكر استرابون ان عاصمتهم مدينة (قرناو) (Karna)[1] ،

ولم يكن العلماء يعرفون معين ولا اكتشفوا انقاضها ، فذهب بعضهم الى ان لفظة Minaei نسبة الى جبل منى قرب مكة ، حتى وفق المستشرق جوزيف هالفي الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي شرقي صنعاء ، واكتشف انقاض معين ، وقرأ اسمها عليها بالمسند وبجانبها براقش ، فذهب هاليفي ووافقه في ذلك جلازر ان معين هي البلد التي ينتسب اليها المعينيون ، وان هذه المدن التي اكتشفها هاليفي في الجوف هي مدن معينية ولا سيما براقش التي كانت تعرف باسم (يثيل).

وبفضل الدراسات العلمية التي قام بها (مولر) على النقوش التي اكتشفها جلازر وجوسن ، استطعنا معرفة الكثير عن تاريخ وملوك هذه الدولة ، وقد حصر مولر عدد الملوك الذين قرأ اسماءهم في هذه النقوش ، فذكر (٢٦) اسما موزعين على خمس اسرات ، في حين ذكر (فلبي) اسماء (٢٢) ملكا نظمهم في خمس اسرات ، وذهب الى القول بأن اول عهد مملكة معين بهذه الاسرات قد رجع الى عام (١١٢٠ق.م) حيث حكمت الاسرة الاولى ، وكان عدد ملوكها اربعة

ويظهر من دراسة النقوش المعينية ان نظام الحكم في دولة معين كان ملكيا وراثيا مقيدا ، وقد يشارك الابن اباه في الحكم ، وهناك مجلس استشاري يعاون الملك في الحكم ويحد من سلطانه

ومن الملوك المعينيين (اليفع وقة) الذي عثر على اسمه في الخربة السوداء ، وهي مدينة (نشان) في الكتابات المعينية ، وذكر معه اسم ابنه (وقة ايل صدق) الذي خلفه في حكم اليمن ، كما ورد اسم (اليفع وقة) مع اسم ابن له يدعى ، (ابو كرب يثع) ، في نقش عثر عليه في ديدن (العلا) ، ومن ملوكهم ايضا الملك (اب يدع يثع) و(وقة ايل ريام) و(يثع ايل صديق) و(يثع ايل ريم) وابنه (تبع كرب) ، وفي عهد هذين الاخرين ضعفت الدولة المعينية وخضعت لنفوذ السبأيين، وكانت هناك مجالس تعرف باسم (مسود) تدير شؤون الحكم في المدن المعينية في السلم والحرب ، وتشابه دار الندوة في مكة في العصر الجاهلي ، وتمتع هذه المدن باستقلال ذاتي ، ويراس مجلس شيوخها رئيس ينتخب لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد ، وكان لهؤلاء الرؤساء مكانة سامية ، فقد كانت

اسماؤهم تدون في سجلات المدينة او المعابد ، ويذكرهم المؤرخون في وثائقهم ، حتى ان بعض الملوك كانوا يؤرخون توليتهم ويحددونها بذكر الرئيس الذي كان قائما آنذاك

اما عن نظام الضرائب في مملكة معين ، فتدل النقوش انها كانت تنقسم الى ثلاثة انواع :

١. ضرائب تعود جبايتها الى خزانة الملك
٢. ضرائب تعود جبايتها الى المعابد ، وهذه نوعان : نوع يعرف باسم (اكرب) وهي الضرائب التي تقدمها القبائل تقربا للآلهة ، ونوع آخر اجباري كان يفرض على المواطنين يقال له (العشر)

ضرائب تعود جبايتها الى المشايخ والحكام .

حضارة مملكة معين

مملكة عربية قديمة، نشأت في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثامن قبل الميلاد كبقية الممالك العربية الجنوبية، بدأت معين كقبيلة في قرناو التي ستصبح اعتباراً من القرن السابع قبل الميلاد عاصمة لمملكتها المستقلة، وفي بدايتها كانت المملكة مكونة من قبيلة معين وبعض البطون كعائلة جبأن وعائلة يلقظ المشهورتين. وهذا ما تشير إليه النقوش التي وصلتنا من موقع قرناو، والتي تذكر أسماء ملوك يعتبرهم العلماء حكاما للمملكة معين.

لم تذكر معين في نقش يثع أمر وتر في صرواح(DAI Ṣirwāḥ 2005-50) ، والذي تم تأريخه من خلال الحواليات الأشورية التي ذكرت الاسم يثع أمر السبئي حوالي 715 ق م ويمكننا أن نفسر عدم ذكر معين في نقوش القرن الثامن قبل الميلاد، كقوة سياسية، بأن معين كانت جزءاً من سبأ، وعلى الأغلب أنها لم تكن تشكل أي خطر عليها في السيطرة على طريق القوافل الذي كان يمر في وادي الجوف، بينما تعرضت مملكة نشان لحملات عسكرية سبئية في عهد) كرب إيل وتر (نحو 680) ق م (بسبب محاولتها توحيد مدن الجوف، والوقوف ضد الزحف السبئي لليسطرة على بقية الممالك العربية الجنوبية .(RES 3945, 3946)

أقدم نقش تم العثور عليه لمعين في قرناو، كان من عهد المكرب السبئي المشهور (يثع أمر بين)، جاء فيه عبارة التحالف والأخوة بين يثع إيل وصبحم ملكي معين،

يثع أمر وذمار علي مكربي سبأ، ويقه مالك – ملك نشان (النقش.(YM 2009 : ومما يرجح في أن المكرب السبئي يثع أمر الوارد في النقش هو (يثع أمر بين) هو ذكره في نقش معروف مع ذمار علي والد كرب إيل وتر المكرب الشهير Gl) 1691) وهذا النقش يشير وبوضوح أن قرناو أو قبيلة معين كانت – مملكة مستقلة. سياسيا ولها نفس الثقل السياسي كبقية – ممالك الجوف الصغيرة، وفي أغلب الاحتمالات أن معين في ذلك الوقت المبكر من نشأتها كانت متحالفة مع سبأ ونشان (AO 31929)، ولدينا نقشان يؤكدان استمرار التحالف مع سبأ، النقش الأول (Maʿīn 102)من عهد (أبي يدع يفش بن نبط إيل) يذكر فيه إخوته مع يدع إيل – مكرب سبأ، ونقش آخر (YM 11191) من عهد (ملك وقه ريد الثاني) ملك نشان المتحالف أيضا مع (يدع أب يفش المعيني.(واستمر هذا التحالف حتى نهاية عهد المكرب السبئي) كرب إيل وتر (الذي حكم في النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد، وشن حربًا على نشان ويظهر من خلال النقوش التي تركها لنا ملوك معين خلال القرن السابع ق م، بأن تحالف مملكة معين مع سبأ استمر حتى نهاية القرن السابع ق م .وكانت أراضي مملكة معين منحصرة بمدينة قرنا والأراضي الزراعية المحيطة بها.

يظهر من خلال النقش (RES 3943) بأن حكام سبأ الذين خلفوا كرب إيل وتر قد تابعوا السياسة التوسعية وذلك بمحاولتهم السيطرة على طريق البخور وذلك من خلال التحالفات أو الحملات العسكرية، وهذا ما حدث مع مملكتي معين ومهأمر. فالتحالف بين معين وسبأ قد انفسخ وانقلب إلى عداوة مع سبأ التي قامت بحملة عسكرية ضد معين ويثل – براقش حاليا – وضد مهأمر وأمير في منطقة نجران. ويمكننا تأريخ حوادث النص (RES 3943) في حوالي نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس ق.م. وفي أواسط القرن السادس ق.م، يشير النقش (Demirjian) هجوم سبئي على قافلة معينية في شمال جزيرة العرب، ولقد دفعت الحملة العسكرية السبئية ضد معين ويثل إلى تشكيل اتحاد قبلي مع يثل للوقوف أمام المطامع السبئية، ويظهر ذلك من خلال عبارة "بآلهة معين ويثل"، واستمر هذا الاتحاد حتى اندثار مملكة معين من الساحة السياسية في نهاية القرن الأول ق.م .

فـي القـرن السـادس قبـل المـيلاد تقهقـرت مملكـة سَـبَأ أمـام مملكـة معـين وقتبـان المجـاورتين، وفقدت سيطرتها علـى بقيـة الممالـك العربيـة الجنوبيـة وخاصـة مـدن– ممالـك الجـوف. وفـي الفتـرة مـا بـين القـرن السـادس والخـامس قبـل المـيلاد، ضـمت معين نشان إليها. وتدريجيا حلت مملكة معين مكان سبأ، والتي سيطرت على تجارة البخـور مـع الشـرق القـديم طـوال النصـف الثـاني مـن الألـف الأول ق.م، فأقامـت محطـات تجاريـة فـي أواسـط وشـمال جزيـرة العـرب ونسـجت علاقـات تجاريـة مع غزة وصور وصيدا ومع بلاد الرافدين ومصر واليونان،كما تؤكده النقوش المعينية التـي تـذكر معينيين تزوجوا مـع نسـاء أجنبيـات، وأيضـا النقوش التـي عثر عليهـا فـي موقع دادان شمال جزيرة العرب وفي مصر – الفيوم– وفي جزيرة ديلوس في اليونـان، وهذا مـا تشير إليـه أيضـا المصـادر اليونانيـة والرومانيـة والعهد القديم باللغـة اليونانيـة الذي يذكر المعينيين والذي يعود تاريخه إلى حوالي القرن الرابع ق.م

المحاضرة السادسة : دولة سبأ

ورد اسم سبأ في روايات كثيرة ومختلفة ، ففي التوراة ورد الاسم في عدة مناسبات ، منها ان سبأ من كوش بن حارم ، وفي رواية اخرى انها من ولد يقطان. اما في الروايات العربية ، فقد ورد ان سبأ من ولد يشجب بن يعرب بن قحطان ، وان اسمه الحقيقي عبد شمس ، وذكر اليعقوبي ان سبأ اول من ملك من ملوك العرب ، وسار في الارض ، وسبي السبايا . وقد جاء ذكر السبئيين في حوليات الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ ق.م – ٧٢٧ ق.م) ، وفي نقوش سرجون الثاني (٧٢٢–٧٠٥ ق.م) ونقش يرجع الى عهد سنحاريب حوالي ٦٨٥ ق.م ، وتشير هذه النقوش الى هدايا كان يقدمها الحكام السبئيين الى هؤلاء الملوك. اما عن أصل السبئيين ، فيرى " هومل " انهم كانوا في الاصل يسكنون الجوف في بلاد العرب الشمالية ، ثم انحدروا نحو الجنوب في القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث اتخذوا " صرواح " أول الامر عاصمة لهم ، ثم انتقلوا فيما بعد الى مأرب . ويرى بعض الباحثين ان نزوح السبئيين الى جنوب الجزيرة كانت نتيجة ضغط الاشوريين عليهم من الشمال ، فاستقروا في بلاد اليمن ، مستفيدين من ضعف المعينيين من جهة ، وتعاظم قوتهم العسكرية من جهة اخرى ، فامتد نفوذهم الى الجوف. واستغل السبأيون موقع بلادهم المطل على طريق الهند والبحر الاحمر ، فسيطروا على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بالشام ومصر ، مما ساعد على عظم ثرواتهم ، وقد

اشار القران الكريم الى هذا الثراء ، فقال تعالى ((" **لقد كان لسبأ في مسكنهم اية . جنتان عن يمين ويسار، كلوا من رزق ربكم واشكروا له . بلدة طيبة ورب غفور**)) .وتفيد المعلومات المستمدة من الكتابات والنقوش السبأية ان اول مكرب سبأي يرجع اليه الفضل في تأسيس دولة سبأية في صرواح هو المكرب (سمه علي) ، وذلك في حدود سنة ٨٠٠ ق.م ، وقيل ان هذا المكرب قدم بجحافل السبئيين من الشمال واجتاح بلاد المعينين ومن جاورهم من الحضارمة والقتبانيين ، وذكرت النقوش ايضاً ان (سمه علي) قدم هدية من البخور والمر للإله (المقه) الذي أرشد القبيلة بعد تجوالها الى ارض فيها اللبن والعسل. وقد اصطلح العلماء على تقسيم الدولة السبأية الى عصرين :

العصر الاول : عهد المكربين (٨٠٠ ق.م – ٦٥٠ ق.م) وهو اقدم عهد من عهود تاريخ سبأ ، وقد تلقب حكام سبأ في هذا العهد بلقب (مكرب) اي : المقرب بين الالهة والناس ، او انها تعني المقدس ، وكان هؤلاء الحكام في الواقع كهانا ، مقامهم مقام المزواد عند المعينين ، وكانت العاصمة صرواح ثم انتقلت الى مأرب .

العصر الثاني : عهد ملوك سبأ (٦٥٠ ق.م – ١١٥ ق.م) وهو العهد الذي تلقبت فيه حكام سبأ بلقب (ملك سبأ) ، وكانت مأرب عاصمة السبئيين .

المحاضرة السابعة : دولة حضر موت

تقع بلاد حضر موت الى الشرق من اليمن في أرض تكثر فيها الجبال والوديان ، وذكر المقدسي ان (حضر موت هي قصبة الاحقاف موضوعة في الرمال عامرة نائية عن الساحل ، اهلة لهم في العلم والخير رغبة ، الا انهم شراة شديد سمرتهم) . اما ياقوت فذكر انها (ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر ، وحولها رمال كثيرة تعرف الاحقاف) . وينسب الاخباريون بلاد حضر موت الى حضر موت بن يقطن بن عامر بن شالخ ، معتمدين في ذلك على رواية التوراة ، أما بطليموس فسماها Chathramitae ، وحضر موت تعني في اللغة العبرية : دار الموت ، ويفسر ياقوت هذه التسمية بأن حضر موت هو عامر بن قحطان وانه سمي بهذا الاسم لأنه كان اذا حضر حربا اكثر من القتل فلقب بذلك حضر موت .

وقد ورد اسم حضر موت في الكتابات المعينية ، كما عثر على كتابات حضرمية ورد فيها اسماء عدد من ملوك حضر موت . وبفضل النقوش والكتابات التي عثر عليها العلماء في الحريضة وشبوه أمكن معرفة تاريخ هذه الدولة ، فظهر انها كانت معاصرة لدولة معين ، وسبأ ، وقتبان ، وانها فقدت استقلالها واندمجت نهائيا في مملكة سبأ وذو ريدان في عهد شمر يهرعش الذي تلقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات . اما عن ملوك حضرموت فيذكر الباحثون ان اولهم هو : صدق ال (صديق ايل) الذي كان ملكا على حضرموت ومعين في ان واحد ، وانه حكم فيما يقرب من سنة (١٠٢٠ ق.م) ثم خلفه : علن بن صدق ال وتولي الحكم في حوالي سنة (١٠٠٠ ق.م) ، ويرى فلبي ان حضر موت الحقت بعد موت معد يكرب بمملكة معين وظلت تابعة لها الى حوالي سنة(٦٥٠ ق.م)، ويذكر ايضا ان حضر موت اصبحت جزء من قتبان او سبأ منذ سنة(٥٩٠ ق.م)وحتى سنة (١٨٠ ق.م) . كان نظام الحكم في مملكة حضر موت يشبه ما كان سائدا في الممالك العربية الجنوبية فالملك يستمد قوته من حقه المقدس ، في نفس الوقت الذي كان فيه مجلس عام ، مما جعل حكم الملك حكما دستوريا ، اما في المدن فتوجد حكومات محلية يعين افرادها بطريقة الانتخاب ، ويعاونهم مجلس من شيوخ المدنية .

وكانت مدينة ميفعة عاصمة للقتبانيين في مبادئ الامر ، ثم انتقلت الى شبوة ، وقد كشفت التنقيبات التي اجريت في شبوه ، على اثار كثيرة تتضمن عددا من المعابد والقصور القديمة وبقايا السدود التي كانت قد اقيمت على وادي شبوه لحصر مياه الامطار والاستفادة منها لري المناطق المجاورة .

المحاضرة الثامنة دولة قتبان

كان موضع هذه الدولة في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد اليمن ، الى الجنوب من بلاد السبأيين وعلى تخوم حضر موت ، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ان قتبان موضع في نواحي عدن . اتخذ القتبانيون مدينة (تمنع) في وادي بيحان عاصمة لهم ، وتعرف في الوقت الحاضر باسم " كحلان " وكانت هذه المنطقة قد عرفت قديما بخصبها وبكثرة مياهها وبساتينها ، ولا تزال أثار نظم الري القديمة تشاهد هناك حتى اليوم ، كما ان النقود الذهبية التي عثر عليها في مدينة (تمنع) وفي (حريب) وفي اماكن اخرى والتماثيل المصنوعة من المعدن وبعض المصنوعات المعدنية الاخرى تشير الى تقدم القتبانيين وحضارتهم . ويرجع الفضل لما ورد من اخبار عن مملكة قتبان الى النقوش القتبانية التي جمعها " كلاسر " في رحلته الى اليمن سنة (١٨٩٢-١٨٩٤ م) فكانت اول كتابات قتبانية تصل الى أوربا ، وقد القت هذه النقوش الضوء على ما غمض من حضارة هذه الدولة التي عاصرت كل من حكومة معين وحكومة سبأ ، وشهدت سقوط الدولة المعينية . اما عن تاريخ قيام هذه الدولة ونهايتها ، فقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع ، فيرى " كلاسر " انها قامت فيما بين عامي (٢٠٠ – ٢٤ ق.م)، وربما قبل ذلك ، في حين يرى غيره ان هذه النهاية كانت بعد الميلاد بحوالي مائتي عام تقريبا ، اما فلبي فيذكر ان اقدم مكارب قتبان يرجع الى حدود سنة (٥٦٨ ق.م)، وان قتبان اندمجت في دولة سبأ نهائيا في سنة (٥٤٠ ق.م) . في حين ان النقوش التي حصلت عليها بعثة وندل فيلبس تؤكد بأن المدن القتبانية كانت آهلة بالسكان في الالف الثاني قبل الميلاد ، اي انها عاصرت الدولة المعينية والدولة السبأية . ويعتقد بعض الباحثين ان الفترة التي امتد فيها حكم المكربين (المقربين) تقع بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ، وفي هذه المرحلة من تاريخ قتبان يقوم المكرب " يدعى اب ذبيان " في القرن الخامس ق.م بمهاجمة سبأ والاستيلاء على اقليم مراد ، ويرجح انه شيد المدخل الجنوبي لمدينة تمنع ، وورد في بعض النقوش التي تنسب الى هذا المكرب انه خلع على نفسه ألقابا أخرى ، فهو مكرب قتبان وجميع ابناء "عم " . وأوسان وكحد ودهس وتبنو . وفي نقش اخر يلقب ايضا بمكرب يرفع وابناء الجنوب والشمال ، ويرى بعض الباحثين ان يدع اب ذبيان اول من توج نفسه ملكا على قتبان او من بين الملوك الذين جلسوا على عروشها ، وبوفاته تنتهي الاسرة الملكية القتبانية الاولى . وتلى هذا العصر عصر اخر يمتد من ٣٥٠ ق.م الى ٢٥٠ ق.م ، تولت فيه اسرة ثانية من بين ملوكها " شهر يجيل " الذي اعتلى عرش قتبان في عام ٣٠٠ ق.م تقريبا ، وينسب اليه بناء معبد للإله " عم " في وادي لبخ وفي مدينة " ذو غيل " ، وقد ورد في احد النقوش المنسوبة اليه انه قوض عرش معين ، ثم خلفه اخوه شهر هلال بو هثعم (يوهنعم) ، صاحب مسلة تمنع وسيد المعينيين ، وبوفاته تنتهي

الاسرة الملكية القتبانية الثانية . ويلي هذا العصر ، عصر ثالث تناوب فيه عرش البلاد عدد من الملوك اخرهم يدع اب غيلان ، وينسب اليه بناء بيت " يفش " وزخرفة بالأسد البرونزي ، ثم اعقب ذلك اسرة ملكية اخرى تستمر من سنة (١٠٠ ق.م – الى ٢٥ ق.م) ، واول ملوك هذه الفترة : هوف عم يو هنعم ، وابنه شهر يجيل يوهرجب ، الذي أعاد بناء برج المدخل الجنوبي لبيت يفش ، ثم جاء بعده ابنه ورو ال غيلان يوهنعم ويرجح انه اول من سك نقودا ذهبية قتبانية ، ثم تولى بعده اخوه " فرع كرب يوهودع " وهو اخر ملك في هذه الاسرة جلس على عرش قتبان . ويعتبر عصر قتبان الذهبي هو الممتد من ٣٥٠ – ٥٠ ق.م ، فوصلت من هذا العصر اهم مجموعة من النقوش ، ومنها يتبين ان قتبان كانت في ذلك العصر اهم مملكة في بلاد العرب الجنوبية ، حيث أخضعت لسلطانها معين وسبأ .

وقبيل الميلاد (اي في ٥٠ ق.م) تعرضت مدينة تمنع لغزو من شعب غير معروف فأحرقت ودمرت تدميرا تاما ، كما ظهرت مملكة اخرى الى عالم الوجود هي مملكة سبأ وذو ريدان التي قامت على انقاض كل من قتبان وسبأ ومعين . واستنادا الى الكتابات القتبانية القديمة يتبين ان حكام قتبان كانوا يتلقبون بلقب مكرب ، في بادئ امرهم ، ثم تطوروا فأضافوا الى لقبهم هذا لقب (ملك) ، ثم نزعوا عنهم لقبهم القديم (مكرب) واكتفوا باللقب الجديد ، وقد كان هؤلاء المكربون يحكمون في جماعتهم وطوائفهم حكما يشبه حكم قضاة بني اسرائيل ، فلما توسع سلطانهم وتجاوزوا حدود المعبد والجماعة ، وتشبهوا بالملوك وتلقبوا بألقابهم . وكان نظام الحكم في قتبان يشبه ما كان سائدا في معين ، والحكم ينتقل من الاباء الى الابناء ، ويلاحظ ايضا ان الملوكية تنتقل الى الاخوة مع وجود الابناء ، وكان يدير شؤون المملكة حكام نيابة عن الملك ومشايخ يقال للواحد منهم (كبير) ، وتتألف المملكة من حضر ، وهم سكان القرى والمدن وينسبوهم الى مدنهم ، ومن (أشعب) اي قبائل ، ويكون للمجتمع كالمدينة او القرية او القبيلة دار ندوة تجتمع فيها للتشاور في تصريف الامور في السلم والحرب يقال لها " مشود " .

اما من الناحية الاقتصادية ، فقد استفاد القتبانيون من موقعهم الجغرافي ومجاورتهم لحضر موت ، التي اشتهرت بإنتاج اجود انواع البخور ، فاشتغلوا بالتجارة ، فجنوا ارباحا كبيرة ، واصبحت لهم قوة عظيمة ، كان لها أثر في الحد من نفوذ المعينيين . وقد أسفرت الحفريات الاثرية التي اجريت في موضع كحلان (تمنع) عن كشف كثير من التحف المصنوعة من المعادن والخزف والمتأثرة بالفن اليوناني ، كما عثر على عملات هيلينية ورومانية .

المحاضرة التاسعة: دولة الانباط

كانت بلاد الشام وجنوب فلسطين مركزاً لهجرات متتابعة من جنوب الجزيرة العربية أوائل التاريخ المسيحي مثل قبيلة تنوح وقبيلة بني سليح وال جفنة ، حتى ان قرية (بوريكة) الواقعة باللجة كانت تعرف في العصر الروماني باسم (بوريكة السبئيين) . الا ان استقرار القبائل العربية في بادية الشام يرجع الى عصور سابقة للعصر الروماني ، ومن تلك الشعوب العربية التي استقرت في جنوبي فلسطين شعب الأنباط ، الذي عرف عند اليونان باسم Nabataea او النبط . وقد نشأت هذه الدولة في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب . في الموضع الذي عرف باسم : بلاد العرب الحجرية او الصخرية (Arabiapetraea) . وقد اجمع العلماء والباحثون على ان النبط هم شعب من العرب . وان استعملوا الآرامية في كتاباتهم فأغلب اسماءهم هي اسماء عربية خالصة مثل حارثة ومغيرة وجذيمة وقصي وكليب وعدي وعمر وكعيب وشارك النبط العرب في ديانتهم فعبدوا بعض الاصنام المعروفة عند عرب الحجاز . مثل " ذي الشرى " المعروف عندهم باسم : (ذو شرى) واللات " الت " ومناة : " منوتن " وهبل " هبلوا " . ومن ناحية اخرى نجد ان المؤرخين المختصين بشؤون الانباط وتاريخهم ومنهم المؤرخ اليهودي : " يوسفوس " قد اطلقوا كلمة (العرب) على النبط . ثم انهم اطلقوا اسم (Arabia Petrea) والتي تعني العربية الصخرية على بلاد الانباط . ويرى بعض الباحثين ان الانباط ليسوا عربا وانما هم من الاراميين . بحجة انهم كانوا يستعملون الآرامية في كتابتهم ، ويرى هؤلاء العلماء ان تشابه الاسماء واشتراكها بين الانباط والعرب من ناحية وامتزاج الالفاظ العربية في اللغة الآرامية من ناحية اخرى ، هو نتيجة الاختلاط والاتصال بين الشعبين بحكم رابطة الجوار . الا ان بعض الباحثين العرب ردوا على مزاعم هؤلاء العلماء بخصوص اصل النبط . فذكروا ان هناك اقوام من غير النبط ومن غير بني ارم كتبوا بلغة الاراميين وبقلمهم الا ان احد من العلماء لم يقل ان جميع من كتب بلغة الاراميين هم من الاراميين . فالآرامية كانت قد تغلبت على اكثر لغات الشرق الادنى . واصبحت لغة الكتاب والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون . اما ما جاء عن النبط في كتب الاخباريين العرب فلا يعدو كونهم جيل من العجم كانوا ينزلون البطائح بين العراقيين ، وانهم سموا بهذا الاسم لكثرة النبط عندهم وهو الماء .

ويرى ولفنسون ان النبط الذين قصدهم الاخباريون العرب . هم بقايا الشعوب القديمة الذين كانوا ينزلون البطائح ، ومنهم مترسبات الاراميين في العراق والشام ، قبيل الاسلام وفي العصر الاسلامي ، وكان هؤلاء يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة اعجمية ظاهرة .

اما عن الموطن الاصلي الذي انحدر منه النبط فالراجح انهم كانوا يسكنون بادية الشام وجنوب سورية في القرن السادس قبل الميلاد تقريباً . ثم رحلوا في هجرة جماعية نحو الغرب (

اي نحو ارض الادوميين) واغتصبوا ارضهم المطلة على ساحل البحر الاحمر ، فاضطر الادميون الى الرحيل نحو الشمال ، واستقروا المناطق الخصيبة المشرفة على البحر المتوسط وكان ذلك في حدود سنة ٥٨٧ ق.م تقريباً . وتتميز بلاد الانباط بانها أرض جبلية قليلة المياه تكثر فيها المرتفعات الصخرية الوعرة . واتخذ الانباط (البتراء) عاصمة لهم وقد وصفها سترابون فقال : انها مدينة صخرية قائمة في مستوى من الارض وتحيط به الصخور كالسور المنيع ، وليس وراءها غير الرمال المحرقة .

وقال عنها الاصطخري : (انها مدينة بقرب البلقاء ، وهي صغيرة منحوتة بيوتها كلها وجدرانها من صخر كأنها حجر واحد) . وتعرف البتراء في المصادر العربية باسم الرقيم ، وقيل انها المدينة التي أقام فيها أهل الكهف .

حضارة الانباط واثارهم

كانت حضارة الانباط مركبة ، فهي عربية في لغتها آرامية في كتابتها ، سامية في ديانتها ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية ولكنها حضارة عربية في جوهرها . وكان الانباط وثنيون يعبدون الاصنام ، فشاركوا في هذه العبادة عرب الحجار ويعد "دو شرى " الاله الرئيسي عند النبط ، وقد شاعت عبادة هذا الاله في البتراء خاصة ثم انتشرت الى باقي مناطق البلاد ، واقام النبط للإلهة العزى معبدا خاصا على مكان مرتفع من البتراء . وكانوا يحجون الى البتراء تقربا من الاله (ذو شرى) وزيارة معبده في المدينة . وحضارة الانباط تقوم أساس على التجارة ، فالبتراء كانت مركزا تجاريا هاما بين الشرق والغرب والجنوب والشمال ، وكانت لها السيطرة على الطرق التجارية ما بين غزة وبصرى ، وما بين دمشق وآيلة . وقد امتد نشاطهم التجاري الى سلوقية والاسكندرية ورودوس وموانئ سورية واهم السلع التي كان الانباط يتاجرون فيها : الافاوية من (اليمن) ، والحرير من الصين والحناء من عسقلان ، والزجاج وصبغ الارجوان من صيدا وصور ، اللؤلؤ من الخليج العربي ، والخزف من روما ، بالإضافة الى منتجات بلاد النبط من ذهب وفضة وزيت السمسم . اما في مجال الزراعة فقد قام النبط بحفر الابار وشق القنوات واقامة المشاريع الزراعية في البلاد . فحولوا بعض المناطق الصحراوية الى أراضي زراعية خصبة وفي الصناعة اشتهر النبط بالأواني الفخارية التي كانت لا تقل في الجودة والاتقان عن الخزف الصيني آنذاك .

واهم أثار النبط : خزنة فرعون : وهو بناء محفور بالصخر ، والمسرح الذي يفضي الى سهل فسيح تتناثر فيه الكهوف الطبيعية او المحفورة في الصخر ويتسع هذا المسرح ل ٤٠٠٠ متفرج . ومن اثار النبط ايضاً البناء المعروف بالدير وهو بناء فخم عرضه ٥٠ متراً وارتفاعه ٤٥ م ويرجع بناء هذا الدير الى القرن الثالث الميلادي .

المحاضرة العاشرة: مملكة كندة

تقع بلاد كندة شرقي بلاد اليمن مما يلي حضر موت ، وكندة قبيلة عربية تنسب الى ثو بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة ، وقيل ان كندة لقب ثور بن عفير . ويرى بعض الاخبارين ان كندة من قبائل قحطان ، في حين يرى البعض الاخر انها من العدنانيين ، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاطهم بالقحطانيين والعدنانيين معا ، وذكر الهمداني ان كندة سكنت حضرموت بعد نزوحها عن البحرين والمشقر وغمر ذي كندة في الجاهلية ، فنزل منهم ثلاثون الفا في حضرموت أما ياقوت فذكر أن كندة مخلاف باليمن وهم أسم قبيلة ثم نزحت كندة ثانية من حضر موت نحو الشمال فنزلت أرض معد بنجد ، وذكر اليعقوبي أن نزوح كندة من حضرموت كان بسبب الحرب الطويلة التي اندلعت نيرانها بين كندة وحضر موت وقتل فيها عدد كبير من الطرفين ، فقال: ((وكان بين كندة وحضرموت حروب افنت عامتهم ، وكانت كندة قد اجمعت على رجلين احدهما سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب ، وكان على بني الحارث بن معاوية عمرو بن زيد ، وشرحبيل بن حارث على السكون ، واجتمعت حضرموت على عدة رؤساء منهم : مسعر بن مستعر ، واسامة بن حجر ، وشرحبيل بن مرة ، وعدة بعد هؤلاء ، فزال هؤلاء كلهم وطالت الحرب بينهم ، وفتنت رجالهم ، ودامت حتى ضرستهم ، وكثر القتل في كندة . وملكت حضرموت علقمة بن ثعلب ، وهو يؤمئذ غلام ، فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضر موت ، ودخل اهل اليمن التشتيت والتفريق فلما افترق أهل اليمن وانتشروا في بلاد ملك كل قوم عظيمهم ، وصارت كندة الى أرض معد ، فجاورتهم ، ثم ملكوا رجلا منهم وكان اول ملوكهم يقال له مرتع بن معاوية بن ثور ، فملك عشرين سنة)) وأورد المؤرخون العرب ايضا اسباب اخرى لنزوح كندة من حضر موت .

حضارة كندة :

احتفظ الكنديون بالنظم البدوية السائدة في الجزيرة العربية ، ولم يحالوا ان يغيروا النظم السياسية القبلية ، فتركوا كل قبيلة تحتفظ بتنظيماتها وتقاليدها بل ورؤسائها مكتفين بالاعتراف برئاستهم العليا ، وبذلك كون الكنديون نوعا من الاتحاد (Confederation) كان لكندة حق رئاسة وتنظيمه وتوجيهه . ولم تكن للكنديين حضارة على مستوى حضارة الغساسنة او المناذرة ، فلم يكونوا قد ادخلوا الى الجزيرة دينا او ثقافة جديدة ولم تكن لهم حواضر ثابته ، وانما كانوا يتنقلون بين الجنوب والشمال . الا ان الحركة الادبية في كندة موئل الشعراء العرب في الجاهلية ونبغ فيهم عدد من الشعراء ، وفي مقدمتهم الشاعر امرؤ القيس الذي كان له فضل كبير على الشعر العربي ، فقد ادخل فيه فنونا وابوابا جديدة سار عليها الشعراء من بعده . اما عن الناحية الدينية ، فقد كانت عبادة الاصنام هي السائدة في كندة ، ومن اصنامهم المشهورة

ذو الخصلة ، وكانوا يستقسمون عنده بالأزلام كذلك انتشرت اليهودية في كنانة وكندة بسبب مجاورة اليهود لبني كنانة في يثرب وخيبر ، ومن اتصال كندة بالتبايعة في العهد الاخير وتبعيتهم لهم ، اما المسيحية فكانت اكثر حظا في الانتشار من اليهودية في بلاد نجد فكان بنو تغلب وجماعة من بني اسد وقد اعتقنوا المسيحية وقد انحدرت المسيحية الى العرب عن طريق الغساسنة في الشام والعباد من نصارى الحيرة في العراق كذلك كان لدخول الاحباش في بلاد اليمن اثر كبير في انتشار المسيحية بين العرب ويذكر المؤرخون ان اول من تنصر من ملوك كندة هو " معد يكرب " الملقب بذي التاج الاوضح .

المحاضرة الحادي عشر: دولة تدمر

كان موقع تدمر في الشمال الشرقي من دمشق على نحو ١٥٠ ميلا وقد انشأت حول نبع ماء يقع في منتصف المسافة بين الفرات من جهة وبين دمشق وحمص من جهة اخرى . فهي بذلك تعتبر مركزا هاما للقوافل التجارية بين العراق وبلاد الشام . وقد ورد اسم تدمر لأول مرة في التاريخ في نقش يرجع الى ايام الملك تجلات بلاسر الاول (فيما يقرب من ١١٠٠ ق.م) وذكر الاسم على هذه الصورة : (تدمر أمورو) . وعرفت عند مؤرخي اليونان والرومان باسم بلميرا (Palmyra) ويرى بعض العلماء انه ربما تكون هناك صلة بين المقطع الاخير من كلمة (تدمر) وهو (Mor) وبين Myra( ) وهو المقطع الاخير من كلمة (Palmyra) وان اليونانية واللاتينية حرفت اسم المدينة الاصلي وصيرته على هذا الشكل . ويعتقد بعض الباحثين ان كلمة (بلميرا) مشتقة من كلمة (بالما)(Palma) اللاتينية ومعناها (النخل) وانها سميت بلميرا منذ ان تغلب عليها الاسكندر . لكثرة غابات النخيل حولها ، في حين يرى البعض الآخر ان كلمة بلميرا ترجمة للكلمة ثامارا العبرانية التي تعني النخلة ، وان ثامارا العبرانية هي اسم موضع الى الجنوب الشرقي من يهوذا وفقا لما ورد في التوراة حيث ذكرت انها من جملة المدن التي اسسها سليمان ، ولكنها ذكرت تحت اسم تدمر ، وان ورود اسم تدمر على هذه الصورة كان نتيجة خطأ ارتكبه كتبة اسفار اخبار الايام فخلطوا بين ثامارا الواقعة جنوبي البحر الميت وبين تدمر المدينة المشهورة ، ثم كتب في سفر الملوك الاول تحت اسم تدمر بدلا من ثامارا (٣) ، ونتيجة لهذا التحريف والخلط اصبح بناء (تدمر) منسوبا الى سليمان ، فورد في

الروايات العربية التي اخذت عن التوراة ان تدمر مما بناه الجن لسليمان ، وينسب الاخباريون العرب بناء تدمر الى تدمر بنت حسان بن اذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح(٤) ، والواقع ان تدمر لم تكن من بناء سليمان ، لان ملكه لم يمتد الى هذه البلاد واغلب الظن ان تدمر نشأت حول نبع ماء في البادية فقصدها البدو واستقروا في واحاتها ، فقد ورد اسم تدمر في نقوش تجلات بلاسر الاول المتعلقة بحملاته ضد العموريين سنة(١١١٥ ق.م) وساعد اهلها نبوخذ في هجومه على القدس وامدوه ب(٨٠٠٠) من رماه النبال وبدأت تدمر تظهر منذ ذلك الحين كمركز تجاري هام وطريق للقوافل بين العراق والشام ،

واستمرت تدمر محتفظة بموقعها الممتاز ومكانتها الطيبة في عهد السلوقيين الذين وحدوا سوريا والعراق وشجعوا الطريق التجاري المار بالعراق وتدمر لينافسوا البطالمة الذين كانوا يعملون على تغيير خط سير التجارة الهندية الى البحر الاحمر ومصر ، وقد ادى سقوط السلوقيين وقيام الدولة البارثية في العراق وايران الى الاضرار بمصالح تدمر فقد فصل العراق عن سوريا ، الا ان هذا الوضع لم يستمر طويلا فسرعان ما فرض الرومان سيطرتهم على سورية وفلسطين ومصر واتبعوا في عهد اغسطوس سياسة سلمية فهادنوا البارثيين ، وعادت التجارة الشرقية تمر بتدمر ، ثم تطلع الرومان للاستيلاء على تدمر ، فحاول ماركوس انطونيوس الاستيلاء عليها سنة(٤١ ق.م) فاضطر اهلها الى الجلاء عنها حاملين معهم اموالهم وامتعتهم ، ولا يعرف على وجه التحديد ما اسفرت عنه حملة انطونيوس هذه ، ويرجح ان تدمر اعترفت بسيادة روما مع احتفاظها باستقلالها ، ويرى بعض المؤرخون انها دخلت في فلك الدولة الرومانية ، في أواخر القرن الاول الميلادي ، فقد كانت من بين المدن التي أدخلها الامبراطور تراجان في الكورة العربية ١٠٦ م .

، وفي سنة ١٣٠ م زارها الامبراطور هادريان ومنحها لقب Hardrianan Palmyra(هادريانا بلميرا) و (Hadriana Polisهادريانا بوليس) وقد عثر في آثار تدمر على نقش يرجع تاريخه الى سنة ١٣٧ م . مدون فيه بالآرامية واليونانية معلومات تخص الاحوال التجارية في هذه المدينة اصدرها مجلس شيوخها لتنظيم التجارة في تدمر ، وتثبيت الضرائب ، وكيفية جبايتها . وكان مجلس شيوخ المدينة يتمتع بسلطة سن القوانين والتشريع وله رئيس وكاتب وعدد من الاعضاء ويشرف على السلطة الاجرائية شيخان (Archontes) وديوان يتألف من عشرة حكام . اما السلطة القضائية فينظر فيها بعض الوكلاء " Syndios " وغيرهم من العمال وقد منحت تدمر درجة مستعمرة رومانية عليا فاصبح لها حق الامتلاك التام ، وحق اعفاء تجارتهم من الضرائب ، والحرية الكاملة في ادارة سياسة المدينة . وكان اكتساب تدمر لهذه الامتيازات في عهد هادريان ، وقيل في عهد سبتي موس سفروس (١٩٣ – ٢١١ م) ، والثابت

انها كانت تتمتع بهذه الامتيازات في عهد كركلا (٢١١ – ٢١٧ م) ، ويرى بعض الباحثين ان منح تدمر درجة (مستعمرة) لا يعني انها اصبحت مقاطعة رومانية مئة بالمئة بل كانت في الواقع حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في ادارة شؤونها وخاضعة خضوعا شكليا لحكم الرومان .

ثم استغل التدميريون فرصة انشغال الرومان في مشاكلهم الداخلية وفي صد الغزوات الجرمانية التي كانت تهدد دولتهم في أوربا الغربية فوسعوا رقعة بلادهم واخضعوا القبائل المجاورة لهم .

وفي سنة(٢٢٦ م) قامت الدولة الساسانية على يد اردشير بن بابك الذي حارب الرومان واستولى على حران ونصيبين ، وقد استغلت احدى اسرات تدمر العريقة النزاع بين الساسانيين والرومان احسن استغلال ، واستطاع زعيم هذه الاسرة وهو سبتيموساودوناتوس ، (odaenathus) المعروف بالمصادر العربية باسم " أذنيه بن السميدع " ان يستقل بتدمر ويلقب بلقب ملك في سنة ٢٥٠ م ، واصبح له مكانة كبيرة في المجتمع التدمري . وأذنيه هذا هو ابن حيران بن وهب اللات .

وقد ادرك الرومان نوايا أذنيه التوسعية ومدى خطورتها على مصالحهم . فأوعز الامبراطور الى " سبتيموس حيران " رياسة مجلس شيوخ تدمر ، بعد وفاة سبتيموس هذا تولى الحكم اخوه أذنيه الثاني " Odenatus " وقد اتصف أذنيه بالشجاعة والجرأة ، وكان يحمل درجة قنصل في عهد الامبراطور فالريانوس ان أذنيه طالب الامبراطور بالانتقام من روفينوس قاتل ابيه ، لكن الامبراطور لم يستجب له ، الامر الذي اغضب أذنيه وحملة على التفكير بالاتصال بالفرس اعداء الرومان ، فبلغه نبأ انتصار الفرس الساسانيون بقيادة ملكهم شابور الاول بن اردشير (٢٤١ – ٢٧٢ م) على الجيش الروماني ووقوع الامبراطور فالريانوس في الاسر في سنة ٢٦٠ م فاغتنم أذنيه هذه الفرصة وارسل الى شابور وفدا حمل هدايا كثيرة وكتابا يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في مصالحته ومحالفته ، لكن شابور استهان بامر أذنيه واساء استقبال رسله اليه وأمر بالقاء هداياه في النهر ، وتوعد أذنيه بالعقاب جزاء تجاسره في مخاطبته .

وكان تصرف ملك الفرس هذا قد أثار ثائرة أذنيه فقرر مهاجمة شابور فجمع فرسان تدمر وانظم اليه جنود فالريانوس ، فزحف بهم على طيسفون (المدائن) ودارت على ضفاف الفرات معركة هائلة انتهت بهزيمة شابور هزيمة نكراء ، وكتب أذنيه الى جالينوس بن فالريانوس يخبره بانتصاره على الفرس واخلاصه للإمبراطورية الرومانية ، فانعم عليه في سنة ٢٦٢ م بلقب قائد عام على جميع جيوش الشرق " Dux Orientes " . ففتح نصيبين وحران فكافئه الامبراطور على اخلاصه مرة ثانية في سنة ٢٦٤ م بان منحة لقب " Imperator TotiusOrientis " أمبراطور على جميع بلاد المشرق " اي على الشام والجزيرة واسيا الصغرى

عدا منطقة (بيتينية) وبعض المناطق الشمالية ، وضربت النقود باسمه ونقش عليها صورته ووراءه بعض اسرى الفرس ، وجعل تحت قيادته جميع القوات الرومانية المعسكرة في الشرق" .

ثم لقب أذنيه نفسه بلقب اخر هو " ملك الملوك " ومنح لقبا اخر هو " اغسطس " الذي كان يلقب به قياصرة الروم .

ولم يكتف أذنيه بما احرزه من انتصارات على الفرس ، فقرر مواصلة الحرب ضدهم ، وخرج مع ولده " سبتميوس هيرودس " وحاصر طيسفون " المدائن " مدة ، ثم اضطر الى رفع الحصار والعودة الى بلاد الشام ، بعد ان بلغه نزول القوط بميناء " هرقلية " وزحفهم نحو " قبادونية " وما ان علم القوط بعودة أذنيه حتى بادروا بركوب سفنهم والعودة الى بلادهم .

وفي سنة ٢٦٦-٢٦٧ م قتل أذنيه مع ولده هيرودس في حمص بيد " معنيوس " ابن أخيه الذي انتهز نزول أذنيه في حمص لاراحة الجند فانقض عليه مع نفر من مؤيديه وقتلوه غدرا " مع ولده هيرودس " . وخلف أذنيه في حكم تدمر ولده " وهب اللات " وكان صغير فتولت الوصاية عليه والدته زنوبيا او " الزباء " التي تعد من الشخصيات الهامة في تاريخ الشرق الادنى القديم وكانت تتقن الآرامية والاغريقية واللاتينية ، وترعى العلوم والآداب فعاش في بلاطها الفيلسوف لونجينوس .

وكانت زنوبيا تطمع في توسيع حدود بلادها فاختارت وقتا مناسبا للقيام بأعمال الحربية عندما دب الضعف في كيان الإمبراطورية الرومانية بعد ان استنفذت قواها في حروبها مع الساسانيين وقد شعر الرومان بأطماع زنوبيا واهدافها التوسعية ، فرأى الامبراطور جالينوس مهاجمتها في عقر دارها قبل ان يستفحل امرها ، فارسل جيشا الى الشرق متظاهرا انه يريد به مهاجمة الفرس فلما بلغ ذلك الزباء استعدت للقاء وتصدت للقوات الرومانية ، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بانتصار جيوش تدمر وهزيمة الرومان من أرض المعركة تاركين قائدهم هرقليانوس قتيلا .

ثم استغلت الزباء مصرع الامبراطور الروماني جالينوس في سنة ٢٦٨ م وانتقال العرش الى أوريليوس كلوديوس وما أصاب روما من ارتباك بسبب غزوات الالمان والقوط للحدود الغربية من الامبراطورية الرومانية ، فجردت حملة كبيرة من سبعين الف مقاتل الى مصر بقيادة (زبدا) فاصطدم مع الرومان الذين قاتلوا قتالا عنيفا وانتهت المعركة بانتصار قوات تدمر ، فقرر " زبدا " العودة الى تدمر بعد ان ترك في مصر حامية من خمسة الاف رجل بقيادة " تيما جينيس " الذي عين نائبا عن الملكة زنوبيا في مصر ، فلما بلغ ذلك بروبوس حاكم مصر الروماني الذي كان قد خرج في الاسطول لمطاردة القراصنة ، اسرع في العودة الى مصر وتعقب افراد الحامية

التدمرية وعمل فيهم السيف ، فأمرت الزباء قائدها (زبدا) بالعودة الى مصر ، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار زبدا على الرومان عند " بابليون " (اي الفسطاط) .

ويعتقد بعض المؤرخين ان زنوبيا عقدت اتفاقا مع روما يقضي ببقاء الجيوش التدمرية في مصر نظير اعتراف تدمر بسيادة الرومان على مصر فقد عثر على عملة تدمرية ضربت في الاسكندرية في سنة ٢٧٠ م نقشت عليها صورة وهب اللات الى جانب صورة وجه الامبراطور اوريليانوس مما يدل ان وهب اللات اصبح حاكما على مصر من قبل الامبراطور الروماني . ثم وصلت زنوبيا سياستها التوسعية فجردت حملة عسكرية الى اسيا الصغرى فتوغلت فيها وبسطت نفوذها هناك ، فقرر الامبراطور محاربتها ، فالحق الجيش الروماني الهزيمة بالقوات التدمرية في مصر سنة ٢٧١م . في نفس الوقت الذي كانت فيه القوات الرومانية تجتاح اسيا الصغرى وتدخل سورية فحاولت جيوش تدمر بقيادة زبدا الوقوف امام زحف الرومان لكنه اخفق وهزم في انطاكية وتراجع الى حمص حيث الحق به الرومان هزيمة ثانية ، واصبح الطريق مفتوحا الى تدمر . ثم ضرب الرومان الحصار حول تدمر ، وايقنت الزباء عجزها عن الدفاع فحاولت الاستنجاد بالفرس . فدبرت خطة للخروج من تدمر ونجحت في الوصول الى ضفاف الفرات . حيث قبض عليها فرسان الرومان ووقعت في الاسر ففت ذلك في عضد المدافعين عن تدمر وفتحوا ابواب مدينتهم للرومان فدخلها اورليانوس في مطلع سنة ٢٧٣م وعفا عن سكان تدمر باستثناء بعض القادة الذين امر بقتلهم ، وابقي على الزباء وابنها وهب اللات ليعود بهما الى روما ومضى الى حمص في طريقة الى روما فلما وصل " تراقيه " بلغه ان اهل تدمر اعلنوا الثورة على الحامية الرومانية ونصبوا انطيوخوس ملكا عليهم ، فقرر العودة الى تدمر ، فدخلها بدون مقاومة فدمرها وهدم اسوارها وقلاعها وقتل معظم سكانها ثم أمر بعد ذلك جنوده بالكف عن المذابح ، وامر بترميم معبد الشمس والاسوار ثم عاد ومعه زنوبيا وابنها وهب اللات اسيرين الى روما . حيث قضت بقية حياتها مع اولادها في بيت خصص لها في " تيبور " .

حضارة تدمر : كانت الحضارة التدمرية مزيجا من عناصر مختلفة يونانية وسورية وفارسية ، على الرغم من ان سكان تدمر كانوا عربا من بقايا العماليق وكانت لغة التخاطب والكتابة عندهم لهجة من اللهجات الآرامية الغربية تنتمي الى الاصل الذي استمدت منه النبطية ، وتظم كثيرا من المصطلحات اليونانية واللاتينية ، وكان الخط الذي يكتبون فيه هو تطور للخط الآرامي القديم .

ويتكون سكان تدمر من المواطنين والعبيد والاجانب الذين كانوا اغلبهم من الاغريق والعبيد المحررين ، ولم تكن لهؤلاء مكانة كبيرة في المجتمع . اما الاحرار فكانوا يتألفون من عدد من العشائر التي ينتسب افراد كل منها الى جد واحد ، واغلب افراد العشائر كانوا يتسمون بأسماء

سامية ، ماعدا قليلا منهم تسمى بأسماء اغريقية ، وكان في تدمر ايضا عدد من الفرس من الطبقة الارستقراطية ، ويعاملون كمواطنين كما ان هناك بعض الرومانيين من الموظفين .

وقد استفادت تدمر كثيرا من موقعها الجغرافي الواقع في مفترق الطرق الصحراوية التي تربطها بالبتراء ، ومنها الى عدن من جهة وبموانئ الساحل السوري من جهة اخرى ، فأصبحت تدمر متحكمة في الشبكة الهامة من الطرق التجارية التي تربط السواحل السورية بآسيا والهند فكانت تصل الى هذه المدينة المنسوجات الحريرية والجواهر واللآلئ والطيوب والبخور والعاج والابنوس من الهند والصين وبلاد العرب الجنوبية فربح التدمريون من هذه التجارة مكاسب هائلة من الضرائب التي كانت تفرض على تلك البضائع التي كانت القوافل التدمرية تقوم بنقلها الى بلدة دورا أوروبس الواقعة على الحدود الخارجية لمملكة تدمر .

ولم يكن دور التدمريين مقتصرا على القيام بنقل البضائع او تزويد القوافل المارة بهم ، بل كانوا يمارسون التجارة بأنفسهم فامتد نشاطهم التجاري الى مناطق عديدة من العالم في ميسان وسلوقية والشام والمدن الفينيقية ومصر وروما والغال (فرنسا) واسبانيا كما عقدوا معاهدات مع القبائل المقيمة على ضفاف الفرات .

اما عن الديانة في تدمر فهي لا تختلف كثيرا عن الاديان السائدة في سورية الشمالية وعند القبائل العربية في البادية وقد وردت اسماء اصنامهم في الكتابات التدمرية بعضها كان معروفا عند العرب وبعضها الاخر ارامي ، واشهر الالهة شمس والالهة بعل (بل) " ويرح بول " : وعجل بول " ز (الت) اللات ، ورحم أي رحيم واشتر (عشتار) وعزيزو (عزيز) وبعل شمين (بعل السماء) .

أثار تدمر : ابرز الاثار الباقية معبد بعل (بل) ، وهو أروع ما تخلف من أثار تدمر ، والمعبد مقام على مرتفع من الارض أمامه قوس هائل وطريق عريض طوله ١٢٤٠ ياردة وعلى جوانبه ٢٧٠ عمودا طول كل منها ٥٥ قدما ، ولا يزال قائما منها ١٥٠ عمودا ، منحوت معظمها من المرمر الابيض وبعضها من الجرانيت والاعمدة مرتبطة ببعضها من الاعلى ويعرف هذا الطريق بطريق الاعمدة ويعتبر الشارع الرئيسي في تدمر ومنه تتفرع الدروب الفرعية وعلى جانبيه الحوانيت والمخازن .

والى جانب هذا المعبد هناك معابد اخرى كانت مبنية بالحجارة ومزينة بالنقوش والصور وبعض التماثيل ، كذلك تبقت في تدمر أثار حمامات ، ودور خاصة مبلطة بالفسيفساء والرخام ، واعمدة تذكارية ، واثار قصر الزباء يعتبر معجزة في فن النحت . ومن اثار تدمر ايضا المدافن التي كانت كأبراج مستطيلة ، يزيد عددها على مائة مدفن متناثرة حول المدينة ويتألف من اربع طبقات ارتفاعها ثمانون قدما وعرضها ثلاثون قدما وله باب خاص يدخلون منه الى الطبقات .

المحاضرة الثانية : عشر دولة الحيرة

هي مملكة عربية بائدة وموقع أثري تقع في الجزء الجنوبي من وسط العراق على مقربة من مدينة الكوفة. فهي أحد أركان المثلث الحضاري ما تُسمي بالنجف–الكوفة–الحيرة بالفرات الأوسط من الهلال الخصيب .والحيرة الحالية هي مركز ناحية إدارية عراقية تحمل نفس الاسم في قضاء المناذرة بمحافظة النجف.

تضارب آراء المؤرخين وعلماء الآثار حول مؤسسها وتاريخ نشأتها. قد برزت في أيام الملك عمرو بن عدي في أوائل القرن الرابع م حيث اتخذها اللخميون عاصمةً لهم فأصبحت في عهدهم مركزًا سياسيًا وعسكريًا وأدبيًا مرموقًا. فتحها المسلمون عام ٦٣٣. واللخميون أو المناذرة هم سلالة عربية حكمت أجزاء من العراق من حوالي منتصف القرن الثالث للميلاد إلى مطلع القرن السابع. كانت على تحالف مع الفرس الساسانيين، وفي حرب مستمرة مع الغساسنة المتحالفة مع الروم البيزنطيين .من أشهر ملوكها المنذر الثالث ابن ماء السماء554 – 503) م) وابنه عمرو بن هند 569 – 554) م (والنعمان الثالث أبو قابوس (602 – 580) وقد اعتنق المسيحية وتمرّد على الساسانيين فخلعوه عن العرش، وبذلك زالت دولة المناذرة. ولكن عاصمتهم الحيرة واصلت حياتها ونشاطها في العصر الإسلامي حتى اندثرت بانقراض الدولة العباسية بعد سقوط بغداد ١٢٥٨م/ ٦٥٦ هـ فأصبحت مدينة بائدة.

وهذه الحضارة حيرت المؤرخين حول أسباب اندثارها وزوالها، فقد قيل إنها نشأت في نهاية القرن الثاني الميلادي، إذ أسس الملك التنوخي جذيمة بن الأبرش مملكة عربية في تلك المنطقة وعُرف ملوك الحيرة باللخميين، وعرفوا أيضا بـ"النعامنة" وبـ"المناذرة"، بسبب شيوع اسم النعمان واسم المنذر

حضارة دولة الحيرة

كانت دولة الحيرة في سطوتها تشمل المنطقة الواقعة غرب الفرات، ابتداء من مجراه الأوسط إلى منتصف الخليج الفارسي، وكان نفوذها يمتد إلى كافة القبائل الضاربة في هذه المناطق، وكانت الدولة مستقلة استقلالًا يكاد يكون تامًّا، وقد استمرت زهاء أربع قرون وربع قرن ابتداء من أوائل القرن الثالث، وكان على رأس الدولة ملك له بلاط يكاد يكون صورة مصغرة من بلاط المدائن، وله وزير يُسمى الرديف، وتحت تصرفه قوة عسكرية بعضها نظامي وبعضها غير نظامي، وكان الجند النظامي كتيبتين إحداهما فارسية يقال لها: الشهباء، وأخرى عربية يقال لها: دوسر. أما القوة غير النظامية فكانت تنظم القبائل الموالية التي كان معظمها يستنفر وقت الحرب، وكان أهمها كتائب الرهائن والصنائع والرضائع، وكانت لهذه الكتائب كلها حصون تُعرف بالمسالح «جمع مسلحة.«

ويبدو أن الحضارة العربية في الحيرة، التي كانت تواجه فارس لم تصل إلى الدرجة العالية، التي وصلت إليها الحضارة العربية في بطرة وتدمر وأرض الغساسنة، تحت التأثير البيزنطي السوري.

وكان عرب الحيرة يتكلمون العربية الشمالية في حاجاتهم اليومية، ولكنهم في الغالب كانوا يستعملون السريانية في كتابتهم، وهم من هذه الناحية يشبهون الأنباط والتدامرة، الذين كانوا يتكلمون العربية ويكتبون الآرامية، وقد أدت هذه الدولة خدمة كبيرة للغة العربية، بما احتضنت من الشعراء، كما أنه كان لها فضل كبير — فيما بعد — في تعليم الخط العربي، وفي إغناء اللغة العربية بكثير من الألفاظ الفارسية، التي تعبر عن أشياء لم يكن العرب يعرفونها.

وكان الملوك في الشطر الأول من الدولة وثنيين، أما في الشطر الثاني فقد اعتنق معظمهم النصرانية، وسبب عدم اعتناق الأولين منهم للنصرانية — ديانة البيزنطيين — يرجع إلى أن ملوك الحيرة، وجدوا — من حسن السياسة — أن يظلوا على صداقتهم مع الفرس، وكان معظم النصارى في الحيرة من النسطوريين، وطبيعي أن

النصرانية انتقلت إليهم من الشام، حيث كان أصحاب المذهب النسطوري مضطهدين، وكان المذهب النسطوري «مذهب شرق الشام» أقل مذهب يلقى اعتراضًا في الفرس، وإلى نصارى الحيرة — والعباد أهم فرقة فيهم — يرجع الفضل في نشر المسيحية في بعض الأجزاء التي انتشرت فيها في بلاد العرب، كما يرجع إليهم الفضل أيضًا في تعليم العرب الوثنيين القراءة والكتابة والدين، وتذكر بعض الروايات أن قريشًا تعلمت من الحيرة فن الكتابة والزندقة.

ويجب أن لا ننسى أثرهم أيضًا في حمل بعض مظاهر الحضارة الفارسية إلى بلاد العرب، ولا ما شيدوه من أبنية رائعة كالخورنق والسدير.

١

المحاضرة الثالثة عشر : دولة الغساسنة

كانت قبائل الازد اليمنية قد هاجرت الى بلاد الشام على أثر انكسار سد مأرب وتدهور نظم الزراعة واعمال الري في جنوب الجزيرة العربية ، وقد نزل الازد في البلقاء واستقروا حول نبع ماء يعرف باسم " غسان " فعرفوا بالغساسنة اما المسعودي فيذكر ان نبع غسان كان في بلاد اليمن فيقول " انما غسان ماء فشربوا منه فسموا بذلك وهو ما بين زبيد ورمع ، وادى الاشعريين بارض اليمن " وأورد المسعودي شعرا لحسان بن ثابت :

أما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان

وعرف الغساسنة ايضا بال جفنة نسبة الى اول ملوكهم جفنة بن عمرو مزيقاء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد . كما عرفوا بال ثعلبة نسبة الى جد لهذه الاسرة هو ثعلبة بن مازن . وكان يسكن بادية الشام قبل قدوم الغساسنة قوم عرفوا بالضجاعمة من قضاعة ، فلما نزل الغساسنة بجوارهم فرض هؤلاء عليهم الاتاوة ، وظل الغسانيون يؤدونها لهم حتى اندلعت الحرب بين الطرفين وانتهت بتغلب وانفرادهم بالسلطة دون غيرهم .

واول امراء غسان في بلاد الشام هو جفنة بن عمرو مزيقياء ، وقد ذكر حمزة الاصفهاني ان جفنة هذا لما ملك قتل ملوك قضاعة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم في حين يذكر المسعودي ان اول من ملك من الغساسنة هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة .

ويعتبر الحارث بن جبلة (٥٢٩ – ٥٦٩ م) اعظم ملوك غسان وأشهرهم ، وكان الحارث هذا معاصرا للإمبراطور جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥ م) ، وكسرى انو شروان (٥٣١ – ٥٧٩ م) ، وقد ذكر المؤرخ بروكوبيوس ان جستنيان أنعم على الحارث بلقب " ملك " Basileus وبسط نفوذه على كثير من القبائل العربية بالشام ، وكان الامبراطور يقصد بذلك ان يجعل الحارث خصما قويا في وجه المنذر بن النعمان المعروف بابن ماء السماء ملك الحيرة . ويعتقد بعض العلماء ومنهم (نولدكه) ان الامبراطور لم يمنح الحارث لقب " ملك " فقد كان هذا اللقب قاصرا على القياصرة ، فلا يمنح لغيرهم وان ما لقب به الحارث وغيره من ال جفنة هو لقب " البطريق " او لقب شيخ القبيلة (فيلاركوس) .

وقد قام الحارث بن جبلة بضبط امور سورية اثناء انشغال الامبراطور جستنيان بحروبة في اسبانيا وشمال افريقيا ، واستطاع ان يقيم جبهة قوية امام المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وحارب الفرس اعداء الرومان . وقد قامت الحرب بين الحارث بن جبلة والمنذر بن ماء

السماء في سنة ٥٣٨ م . بسبب الاراضي التي اطلق عليها الرومان اسم Strata وهي الاراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق الى ما بعد تدمر حتى مدينة سروج ، فقد ادعى المنذر ان القبائل العربية النازلة في تلك الاراضي خاضعة لسلطانة وانها تدفع له الجزية ، فنازعه الحارث على هذه السلطة وقامت الحرب بينهما فانتصر كسرى للمنذر واوعز اليه بالتوغل في سورية فوصلت هجماته الى انطاكية . وفي سنة ٥٤١ م اشترك الحارث في القتال الى جانب الروم فعبر بجيوشه نهر دجلة لكنه سرعان ما عاد الى مواقعة السابقة عن طريق آخر غير الطريق التي سلكها معظم الجيش ، وقد أثار تصرفه هذا شكوك الروم في اخلاصه . ولم يمض على هذا الحادث سوى فترة قصيرة حتى تجددت الحرب بين الحارث والمنذر في سنة ٥٤٤م . فهزم الغساسنة ووقع احد ابناء الحارث اسيرا في يد المنذر فقدمة ضحية للإلهة العزى .

واستمر العداء سائدا بين الغساسنة والمناذرة ، حتى تمكن الحارث من احراز النصر على المنذر ملك الحيرة في سنة ٥٥٤ م في المعركة التي حدثت بالقرب من " قنسرين " وقتل فيها المنذر نفسه ، وخسر الحارث احد ابنائه ويدعى " جبلة " فدفنه ابوه في قلعة عين عوداجه بالقرب من قنسرين .

وبعد وفاة الحارث بن جبلة سنة ٥٦٩ م خلفة في الحكم المنذر بن الحارث الذي عرف في المصادر اليونانية واللاتينية باسم Alamundaros كما لقب بالمنذر الاكبر تمييزا له عن أخيه المنذر الاصغر . وقد استهل المنذر عهده بمحاربة المناذرة فانتصر على ملكهم قابوس بن المنذر في موقعة " عين اباغ " التي حدثت في سنة ٥٧٠ بالقرب من الحيرة . وكانت العلاقات بين الغساسنة والروم قد أخذت تسوء بسبب موقف المنذر المؤيد للمذهب المونوفيزيتي (اليعقوبي) ، فأوعز الامبراطور جستين الثاني (٥٦٥ – ٥٧٨ م) الى البطريق مرقيانوس بتدبير مؤامرة لقتل المنذر ، فلما احس المنذر بذلك هرب الى البادية وشق عصا الطاعة على الامبراطور مدة ثلاث سنوات ، فاغتنم المناذرة الفرصة وهاجموا سوريا وعاشوا بها ، فاضطر الروم الى مفاوضة المنذر واسترضائه فعقد الصلح بينهما في أواخر ايام الامبراطور جستين الثاني . وقد قام المنذر بزيارة القسطنطينية في ٨ مارس سنة ٥٨٠ م فاستقبل استقبالا حافلا ، وانعم عليه الامبراطور الجديد طيباريوس (٥٧٨ – ٥٨٢ م) بالتاج بدلا من الاكليل الذي ينعم به الروم على عمالهم من العرب . ولم تلبث العلاقات بين المنذر والروم ان تدهورت على أثر أشتراك المنذر في الحملة التي قام بها موريق (قومس الشرق) ضد الفرس ، فقد عزى الرومان فشل هذه الحملة الى تواطئ المنذر مع الفرس ، فقد وجد موريق الجسر الكبير على نهر الفرات مهدما فظن ان في الامر خيانة من جانب الملك الغساني فزاد هذا الحارث من أيغار صدور الروم ضد المنذر فأرسل الامبراطور طيباريوس الى " ماجنوس " . الحاكم الروماني في سوريا

يأمره بالقبض على المنذر ، ولم يسع ماجنوس الا ان ينفذ أمر الإمبراطور رغم الصداقة التي كانت تربطه بالمنذر ، فأرسل الى المنذر يدعوه الى حضور حفل افتتاح أحدى الكنائس في بلدة الحواريين (بين تدمر ودمشق) ، فلما حضر المنذر القي القبض عليه وأرسل الى القسطنطينية مع أبنين له واحدى نسائه . ثم توفي الامبراطور طيباريوس وتولى الحكم بعده موريق (٥٨٢ – ٦٠٢) عدو المنذر اللدود ، فأمر بنفي المنذر الى جزيرة صقلية ، ولم يكتفي بذلك بل عمد الى قطع المعونة السنوية التي كانت تقدمها الدولة البيزنطية الى أسرة المنذر من ال جفنة فأثار هذا التصرف ابناء المنذر الاربعة وشقوا عصا الطاعة على الروم ، فأوغلوا في الصحراء تحت قيادة اخيهم الاكبر – النعمان – واخذوا يشنون الغازات على أراضي الدولة البيزنطية فقاموا بهجمات عنيفة ضد " بصرى " التي كانت أكبر قاعدة بيزنطية في جنوب سوريا ، فاضطر الامبراطور موريق الى تجهيز حملة بقيادة ماجنوس لمحاربة أولاد المنذر فاستطاع ان يلقي القبض على النعمان بن المنذر بالخديعة والدهاء ، وأرسله الى القسطنطينية في سنة ٥٨٣ م .

وقد اعقب أسر النعمان بن المنذر تصدعا في دولة الغساسنة ، فتفككت وحدة العرب في سوريا وانقسموا الى (١٥) فرقة لكل منها أمير ، وبدأت القبائل تطاحن فيما بينها ، كما أخذ بعضهم يشن الغارات على المناطق المتحضرة في سوريا ، فاضطر الرومان الى اقامة أمير جديد للغساسنة بدلا من المنذر ، وحرصوا ان يكون الامير الجديد من ال جفنة لما كان يتمتع به هؤلاء من مكانة وهيبة في نفوس العرب في سوريا .

واختلف الاخباريون العرب في ذكر اسماء امراء الغساسنة بعد المنذر بن الحارث ، كما انقطع المؤرخون السوريون والبيزنطيون عن ذكر اخبار ال جفنة بعد المنذر ، وكانت مدة حكمهم قصيرة وقد أورد حمزة الاصفهاني قائمة بأسمائهم تختلف عن الاسماء التي أوردها المسعودي وابن قتيبة ثم تفرق ال جفنة في الصحراء وفر بعضهم الى بلاد الروم على أثر استيلاء الفرس على بلاد الشام في سنة ٦١٣ م ، وبعد نجاح الامبراطور هرقل في استرداد الشام من الفرس في سنة ٦٢٩ م أسند حكم سورية الى احد الامراء الغساسنة وهو (جبلة بن الايهم) ، الذي اشترك مع الروم في قتال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في " دومة الجندل " سنة ٦٣٤ م ، كما اشترك مع الروم في موقعة اليرموك سنة ٦٣٦ م ، واسلم بعد هذه الموقعة ، غير انه ما لبث ان أرتد عن الاسلام وهرب الى القسطنطينية .

حضارة الغساسنة

كانت ديار الغساسنة تمتد ما بين الجولان واليرموك ، وكانوا يقيمون بالقرب من دمشق في موضع على نهر بردى يعرف " بجلق " وكانت الجولان قاعدة لملك الغساسنة ومعسكر لهم واتخذوا مدينة الجابية مركزا لإماراتهم ، وكان موقعها بالقرب من مرج الصفر في شمال حوران ،

وليس هناك ما يشير الى ان الغساسنة كانوا يمتلكون أيا من الاماكن المحصنة او من المدن التي كانت مساكن للجيش كدمشق وبصرى او كتدمر التي حصنها جستنيان .

وقد مارس الغساسنة الزراعة واهتموا بشؤونها ، فاستغلوا مياه حوران التي تندفق من أعالي الجبال في الزراعة ، فعمرت القرى والضياع ، وبنوا القناطر واصلحوا الصهاريج ، والى جانب اهتمام الغساسنة بالزراعة ، اهتموا بالعمارة والبنيان ، فشيدوا كثيرا من القصور والاديرة ، ومن القصور التي تنسب الى الامراء الغسانيون ، قصر المشتي وهو بناء متأثر الى حد كبير بفن العمارة الساسانية الذي كان سائدا في الحيرة وقصر الطوبة . وقصر الصفا وقصر المنارة وقصر السويداء والقصر الابيض وقصر بركة وقصر حارب وغيرها . ومن الاديرة : دير حالي ودير الكهف ودير هند ودير البنوة ، وقلعة القسطل . كما شيد الغساسنة عددا من الحمامات العامة والمسارح والكنائس واقواس النصر . وكانت الديانة السائدة عند الغساسنة هي النصرانية ، بحكم ولائهم للروم ، وكانوا على المذهب المنوفستي ، الذي عرف فيما بعد باسم المذهب اليعقوبي نسبة الى يعقوب البرادعي الرهوي ، واتخذ الغساسنة اللغة العربية لغتهم ، كما استعملوا اللغة الآرامية لغة ثانية .

المحاضرة الرابعة عشر : دولة الحضر

الموقع :تقع في منطقة الجزيرة وتبعد عن مدينة الموصل بحوالي ١١٠ كم الى الجنوب الغربي منها ، ولا يتوافر فيها الماء الجاري لبعدها عن دجلة والفرات اذ تعتمد مياه الابار والامطار في سقي المزروعات ومياه الشرب تحيط بالمدينة أراض مرتفعة فتظهر الحضر وكأنها منخفض تصب فيه سيول الامطار .

نشأة دولة الحضر

لم يتوصل الباحثون على وجه الدقة عن تاريخ استيطان البشر في هذه المنطقة الا ان المستوطنات التي انتشرت بالقرب منها او حولها تعود الى العصور الحجرية مثل (الدباغية وتلول ودبيشي وام تليل) مما يلقي الضوء على ان المنطقة شهدت تجمعات سكانية منذ ان اهتدى الانسان للزراعة ، ويبدو ان ابناء القبائل العربية الذين استوطنوا في منطقة الحضر بسبب توافر الماء والمراعي قد اخذوا يوسعون هذه القرية فأنشأوا بيتا للأصنام يقدمون فيه نذورهم ويحجون اليه في اعيادهم .

وتوسعت قرية الحضر بعد استيلاء الاسكندر المقدوني (٣٣١-٣٢١ ق.م) على بلاد الشرق ، وما اعقب ذلك من تاسيس مدن وظهور شبكة من الطرق والمسالك من بابل الى جميع الجهات وقد ساعد هذا على انتعاش الحضر ، لا سيما في العهد السلوقي حيث اصبحت واقعة على احد طريقين يربطان بين عاصمتي السلوقيين (سلوقية قرب المدائن في العراق وانطاكية في سهل الاسكندرية في اعلى سوريا) ، ولم تصل لنا معلومات على الظروف السياسية والاقتصادية التي احاطت بالحضر في القرون الثلاثة الاولى قبل الميلاد ، والتي ادت الى تطور الحضر من قرية الى مدينة متطورة برزت بصورة واضحة منذ القرن الاول الميلادي وحتى منتصف القرن الثالث الميلادي ، وقد تظافرت عدة عوامل رئيسية منها الموقع والمناخ والعامل السياسي والحربي

عامل الموقع والمناخ :

حيث استفادت الحضر من موقعها على استقرار القبائل العربية على طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب فأصبحت مدينة من مدن القوافل شانها شان (بطرا وتدمر) كان سكانها يحمون القوافل ويوفرون ما تحتاجه القوافل من خدمات ومن المحتمل انهم كانوا يدخلون في صفقات تجارية مربحة من خلال تبادل السلع والبضائع والخدمات توفرت لهم من خلال ذلك عوامل الثروة والغنى .

عامل السياسة والحرب :

استفادت الحضر من ظروف الصراع السياسي التي كانت قائمة بين دول المنطقة فأخذت تتمتع بنوع من الاستقلالية وتقوم بدور الدولة الحاجزة بين الاطراف المتصارعة بحكم علاقاتها الواسعة مع القبائل العربية في العراق والشام ، لذلك فأن اهميتها العسكرية قد برزت في الدفاع عن الامبراطورية الفرثية منذ الحروب التي دارت في آسيا الصغرى مع الرومان زمن الملك الفرثي افراط الثالث (٦٩-٥٧ق.م) وابنه ورود الثاني(٥٧-٣٦ق.م) ، ومنذ ذلك الحين استمر خطر الرومان طيلة العصر الفرثي ونتيجة لذلك برزت اهمية القبائل العربية التي اصبحت الحضر اكبر مركزها كقوة عسكرية اساسية يحسب لها الحساب في الدفاع والهجوم .

حضارة دولة الحضر

جاء ازدهار المدينة بشكل رئيسي من استغلال الواحات التي دعمتها، وكذلك من التربية الواسعة التي مارسها البدو. لا شك أنها مارست أيضًا تجارة القوافل، فقد لعبت دوراً في الوساطة التجارية بين آسيا وأوربا لكن أحدًا لم يجد في الحضر نقوشًا للقوافل كما في تدمر، المدينة التي تشبهها كثيرًا في أماكن أخرى.

اعتنى اهل الحضر بأنسابهم فكان الشخص يذكر اسمه واسم ابيه وجده ووالد جده احيانا وربما ستة اجداد وهذا دليل على عروبتهم فالمعروف عن العرب انهم يعتنون بالنسب اكثر من عناية غيرهم به .

وعلى الرغم من ان غالب سكان الحضر من العرب حيث ان الملوك وضعوا امام اسمائهم صفة ملك العرب او ملك العرب المظفر الا ان هذا لا يعني ان جميع سكان الحضر من العرب فقد وجد الاراميين وجاليات يونانية ورومانية وفارسية لان الحضر كانت مدينة تجارية فكان من الطبيعي ان تعيش فيها جاليات اجنبية . وكان الناس منقسمون الى احرار ورقيق وان الاحرار ينقسمون الى نبلاء من اصحاب الثروة او السلطان السياسي او الديني وعامة من اصحاب الحرف والجنود والاعراب.

تدل الاثار المكتشفة في الحضر على ان الحياة الثقافية كانت على قدر كبير من التطور وبخاصة في مجال العمارة والفنون والدين ولكن لم تصل الينا نقوش تساعدنا على التعرف على الحياة الفكرية والادبية في الحضر .

كان الخط الارامي هو الخط الذي يكتب به اهل الحضر لكونها اي اللغة الآرامية هي اللغة السائدة آنذاك في مجال التدوين والمراسلة لسهولة حروفها الهجائية لذلك فان الانتاج الفكري والادبي لأهل الحضر كان قد كتب بالآرامية واصبح جزءا من تراثها مما يتطلب البحث عن اصوله ضمن التراث الارامي .

كانت الديانة تمثل الموقع الاساسي في ثقافة اهل الحضر وحياتهم وكان اكبر الالهة وسيدها (اله الشمس) فشيدوا له اكبر المعابد وعدوا مدينتهم ملكاً له لذلك ضربوا على نقودهم عبارة (الحضر مدينة الشمس) فالشمس من اشهر المعبودات عند الاقوام العربية القديمة ، واصبح معبد الشمس في الحضر مركز النشاط الديني والاجتماعي ليس للحضر وحدهم بل لجميع سكان الجزيرة يحج اليه الناس من مسافات بعيدة ويقدمون نذورهم .

ولأله الشمس زوجة طلقوا عليها (مرتن) اي سيدتنا وان لهذين الزوجين ولد اطلقوا عليه اسم (برمرين) اي ابن سيدنا على هيئة شاب قوي .

لذلك فان عقيدة اهل الحضر قامت على عقيدة التثليث فعبدوا الاب والام والابن وهذه الصورة من العبادة . عرفت عند العراقيين القدماء وعلى اشكال مختلفة نحو عبادتهم للشمس والقمر (سن) والزهرة (عشتار) والتثليث غير الثالوث لأنه الاخير هو عبادة ثلاثة الهة مندمجة في اله واحد .

كما اهل الحضر غير هذه الاله مثل (اللات) ومجموعة مكونة من سبعة الهه تمثل الكواكب الخمسة المعروفة لديهم والشمس والقمر .

المحاضرة الخامسة عشر : مكــة المكرمة واحوالها السياسية والدينية

١ - الموقع والمناخ :

تقع مكة في بطن وادي يعرف ببطن مكة وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي وصفها اليعقوبي فقال : (ومكة بين جبال عظام وهي اودية ذات شعاب فجبالها المحيطة بها : ابو قبيس الجبل الاعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام ، وقيقعان وفاضح ، والمحصب وثور عند الصفا ، وثبير ، وتفاحة والمطابخ والفلق والحجون ، وسقر . ولها من الشعاب : شعب الحجون ، وشعب دار مال الله ، وشعب البطاطين ، وشعب فلق ابن الزبير ، وشعب ابن عامر ، وشعب الجوف ، وشعب الخوز ...)) .

وكانت المياه بمكة شحيحة ، فكان سكانها يشربون من آبار خارجة من الحرم ، فيحملون الماء في المزاد والقرب ، ويسكبونها في حياض من أدم بفناء الكعبة ليشرب حجاج البيت ، وذكر ابن هشام ان قريشا قبل دخولها مكة كانت تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم عرفت باسم اليسيرة ، كانت بظاهر مكة ، وينسب المؤرخون الى قصي وهاشم بن عبد مناف وامية بن عبد شمس ، وعدة بطون من قريش حفر آبار كثيرة حول مكة . وكان لوقوع مكة في واد غير ذي زرع سببا في اعتماد اهلها على الاقوات والمحاصيل التي تحمل اليها من المناطق المجاورة وخصوصا من الطائف والسراة .

أما مناخ مكة ، فهو قاري حار جدا في الصيف ، وكانت السيول الجارفة تهدد المدينة في فصل الخريف ، واقدم سيل ورد ذكره هو السيل الذي حدث في عهد الجرهميين ودخل الكعبة وهدمها ، فأعادت جرهم بناءها ، وحدث سيل أخر في عهد خزاعة واحاطت المياه بالكعبة ، وعرف ذلك السيل سيل قارة ، وقد تنبه الخلفاء الراشدون لهذا الخطر فأقاموا السدود في الاحياء المرتفعة ، كما حدث في عهد عمر بن الخطاب (رض) وفي عهد الخلفاء الاموي عبد الملك بن مروان .

ب - اشتقاق اسم مكة وتفسيره :

وردت آراء وتفسيرات كثيرة حول اشتقاق اسم مكة ، فقيل انما سميت كذلك ((لازدحام الناس بها من قولهم : قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصا شديداً)) ، وقيل ايضا : ((انما سميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا كانوا بها ، والمكاء بتشديد الكاف طائر يأوي الرياض ، وقال أخرون : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين

، وهي في هبطة بمنزلة المكوك ، وقيل : ((سميت مكة لأنها تملك الجبارين أي تذهب تخوتهم)) وورد اسم مكة في جغرافية بطليموس بصيغة ماكورابا(Macoraba) وهو مشتق من الكلمة السبأية ((مكرب)) أو ((مكورابا)) التي تعني المقدس ، وهو لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل أن يتحولوا الى ملوك ومن المرجح انها تعني ((المقرب الى الله)) لانها مدينة مقدسة ، ويذهب بروكلمان ان مكة مشتقة من لفظ مكرب او مقرب التي شاع استعمالها في جنوب جزيرة العرب ومعناها الهيكل . ويرى بعض العلماء ان اسم مكة مشتق من الكلمة البابلية ((مكا)) والتي تعني البيت وهو اسم الكعبة عند العرب . وعرفت مكة بأسماء أخرى منها الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((**أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**)) ، وقيل ان المقصود ببكة موضع البيت اي الكعبة ومكة تعني القرية نفسها . وقيل ان بكة الكعبة والمسجد ، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادي وذكر ياقوت ايضا ان بكة هو موضع البيت ومكة الحرم كله .

وكذلك سميت مكة بأم القرى في قوله تعالى : ((لتنذر أم القرى ومن حولها)) ، وعرفت باسم معاد والحاطمة لانها تحطم من استخف بها ، والحرم ، وصلاح ، والعرش ، والقادس لانها تقدس أي تطهر من الذنوب . والبلد الامين في قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سنين ، وهذا البلد الامين) . والبيت العتيق في قوله عز وجل (ليطوفوا بالبيت العتيق) ، والبيت المحرم في قوله تعالى : ((ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم)) . ويستنتج من هذه التسميات ان مكة كانت في أول عهدها مقاما دينيا ومركزا للعبادة .

حضارة مكة

إن مكة كمدينة مقدسة، وكمعلمة دينية تاريخية، وبها أول بيت وضع للناس، لا يجادل فيه أحد، ولكن يجب ألا ننسى أن الدين نفسه يمكن استعماله كمعول هدم وتخلف وتردي، كما يمكن أن يحقق عكس ذلك، أي أن يكون منطلق التحرر والبناء المدني والحضاري الراقي، وكما قال الدكتور علي شريعتي في كتابه دين ضد الدين: "الدين ظاهرة مدهشة تلعب في حياة الناس أدوارا متناقضة، يمكن له أن يدمر، أو أن يبعث الحيوية، يستجلب النوم أو يدعو إلى الصحو، يستعبد أو يحرر، يعلم الخنوع أو يعلم الثورة ". أي أن الأمر ليس بالجدران والعمران، وإنما بمن يقطن داخل هذه الأسوار والجدران، فالله تعالى عندما قال (فاسأل القرية) فمن المؤكد أنه لا يعني

الجدران والأبنية من منشآت ومنازل وقصور، فالقرية في العمق هي سكانها وناسها، وقد فُسِّرَتْ دعوة سيدنا إبراهيم في قوله تعالى (واجعل هذا البلد آمنا) بمعنى أمنوه أي أرجع الأمر لفعل الفاعل الذين هم سكان هذا البلد.

وأن جل عباقرة التاريخ قد نشئوا في القصور والحواضر والمدن التي بها مكتبات وفلاسفة ومفكرون وفنانون وحضارة ومجامع علمية. وبالتالي استحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أعظم شخصية في التاريخ لأنه نشأ في بيئة مختلفة تماما، ونحن في عقيدتنا نعي أن الله تعالى بمشيئته جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يولد وينشأ في هذه البيئة لحكمته، وأن يتربى خارج مكة أي في بني سعد بمشيئته ولحكمته، وأن ينشأ يتيما حتى يستخلصه لنفسه، كما نعلم أن الله تعالى يخرج الحي من الميت، وهو يحيي ويميت، وقد أحيى أمة ببعثة نبيه وحبيبه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولازالت الحياة الحقيقية التي ارتضاها الله لنا رهينة باتباع هذا النبي الأعظم على حد تعبير الشيخ أحمد ديدات رحمه الله.

إن من الإعجاز أن تبنى حضارة الإسلام الواسعة المترامية الأطراف انطلاقا من صحراء مغطاة بجميع أنواع البلاء والحروب، وما الجاهلية إلا تعبير عن الجهل والبعد عن الحضارة والعلم والتقدم، وما الإسلام إلا تعبير عن التحرير والانطلاق مع الاستسلام لصاحب الكون والأرض السماء

والسنة النبوية تشهد بأن مع وجود بيت الله الحرام في مكة فقد كان الناس يطوفون عراة، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله، فنزلت هذه الآية: (خذوا زِينتكم عند كل مسجد).قال الإمام النووي: وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة، ويرمون ثيابهم، ويتركونها ملقاة على الأرض ولا يأخذونها أبداً، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى، ويسمى اللقاء، حتى جاء الإسلام فأمر الله تعالى بستر العورة، فقال تعالى: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يطوف بالبيت عريان".

إن هذا مؤشر على قمة التخلف والتردي الحضاري في بعده الأخلاقي والاجتماعي، كما اعتبر الله المشركين نجسا فقال: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام)، والجسد لا ينجس حتى ولو كان صاحبه كافرا وإنما المقصود طقوس وتصرفات هؤلاء في الجاهلية. كما كان بمكة ٣٦٠ صنما، وهو مؤشر كذلك على اضمحلال العقل وضمور الفكر، فالقوم الذين يصنعون إلاههم من الحلوى حتى إذا جاعوا أكلوه، فهؤلاء لا يمكن أن نَسِمَهم إلا بالظلامية والجهل، وكما قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه " أ رب يبول الثعلبان على رأسه، لقد ذل من بالت عليه الثعالب، ثم إن الله تعالى في الآية الثانية من سورة الجمعة يقول: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) وعن أي حضارة سنتحدث مع وجود الجهل وتفشي الأمية، وقال: (يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) إن الذين بُعِثَ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعيشون موتين حتميين أو في ظلامين اثنين فأما الظلام الأول فهو الجهل فأرسل الله رسوله الكريم معلما "إنما بعثت معلما" (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (وليكتب بينكم كاتب بالعدل)، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاء بنت عبد الله القرشية أن تعلم زوجته حفصة القراءة والكتابة، وأطلق أسرى بدر مقابل أن يعلم منهم الواحد منهم العشرة من الأميين، أي أن الحضارة بدأت تترسم معالمها مباشرة بعد نزول الوحي، وبدأت معالم الجاهلية والتخلف التي هي تفشي الخمرة والزنا والحروب والثأر والقمار واللهو والربا تتقلص وتنسحب من الساحة، فكيف يمكن اعتبار أناس يئذون بناتهم وهن حيات ويدسونهن في التراب غير أنهم متخلفون وهمجيون وقتلة. فكان التعليم والمعرفة بالله الخالق الرزاق المحيي المميت والمعرفة بالكون والحياة والموت والجن والدنيا والآخرة...نورا أذهب الله به ظلام الجهل. وأما الظلام الثاني فهو الضلال الذي كانت

بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الصفحة الجديدة التي سوف تغير تاريخ هذه المنطقة رأسا على عقب، وناذرا ما نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيد ببعض مظاهر الجاهلية إلا ما علمناه من حديثه عن حلف الفضول الذي ذكره فحَيَّنَهُ لتكون أخلاقه مما يدعو إليه الإسلام. ثم إن الإسلام في ديناميته وتفاعله مع الواقع وتصيده للحكمة حيثما كانت قد استفاد الشيء الكثير مما عند الفرس والروم من معالم الحضارة، وليس الثقافة، كنظام الدواوين والحسبة إلى غير ذلك.

المحاضرة السادسة عشر انواع الزواج عند عرب قبل الاسلام :

١. الزواج البعولة : كان هذا النوع من الزواج شائعا عند العرب وفي كل انحاء الجزيرة العربية بين أهل الحضر واهل الوبر ، ويتم بان يخطب الى الرجل ابنته فيصدقها أي يعين صداقها ويسمى مقداره ثم يعقد عليها بالتراضي مع أهل الزوجة . ولم يكن العرب في جاهليتهم يحددون عدد الزوجات فكان مباحا للرجل ان يتزوج من النساء ما أحب ، وقد نهى الاسلام الجمع بين أكثر من اربع زوجات ، واشترط وجوب العدل بين الزوجات فقال تعالى : "وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ملكت ايمانكم "

٢. زواج المتعة : وهو الزواج الى أجل مسمى فاذا انقضى وقعت الفرقة ، وتختلف مدة العقد حسب اتفاق الطرفين . وينسب الأولاد في هذه الحال الى امهاتهم . وكان الدافع الى حدوث هذا النوع من الزواج هو التنقل والاسفار والحروب حيث يضطر المرء الى لاقتران بأمرأة لأجل محدد على صداق معين فاذا انتهى انفسخ العقد .

وذكر لمؤخرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أباح المتعة في غزوة بني المصطلق وفي فتح مكة لمدة ثلاثة أيام ثم حرمت بعد ذلك ، وقيل ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) شدد في تحريم هذا النوع من الزواج مستندا على شهادة شهود في تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم لها .

٣. زواج الشغار : ويتم هذا النوع من الزواج دون مهر ، فكان الرجل يزوج ابنته أو اخته على ان يزوجه الآخر بابنته أو اخته ، فكان يقال في الجاهلية :" شاغرني أي زوجي أختك أو ابنتك أو من تلي امها حتى ازوجك اختي أو بنتي او من الي امرها ولا يكون بينهما مهر " ، وقد نهى الاسلام عن هذا النوع من الزواج ، وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاشغار في الاسلام) .

٤ . زواج المقت : تعامل المرأة فيهذه الحالة معاملة التركة ، فيتزوج الرجل زوجة ابيه كجزء من ميراثة ، وقد ابطل الاسلام هذا النوع من الزواج فقال تعالى في القرأن الكريم : ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وقوله عز وجل : (يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهم)

٥. زواج الاسر : كان اسر النساء من العادات المألوفة في الجاهلية وقد اطلق على المرأة الاسيرة اسم النزيعة اي التي انتزعت من اهلها كرها ، وتعتبر ملكا خاصا لسيدها ان شاء تزوجها او زوجها لغيرة او باعها بيع العبيد ، والزواج في هذه الحالة يتم بدون مهر

ايضا وبالاضافة الى ما تقدم عرف العرب انواعا اخرى من الزواج لكنها لم تكن شائعة عند الجميع بل اقتصرت في احياء معينة من بلاد العرب، كزواج الاستبضاع والمخادنة والبدل والرهط .